فيروس سردي

المجموعة القصصية الفائزة بجائزة ناجي نعمان العالمية ٢٠٠٧م

رشا فاضل



الكتاب : فيروس سردي (قصص قصيرة)
المؤلف : رشا فاضل
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٠٨
رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٤٠٨٦
الترقيم الدولي : I.S.B.N : 978 - 977 - 6284 - 28 - 9

الناشر
شمس للنشر والتوزيع
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى - المقطم - القاهرة
ت/فاكس: ٢٧٢٧٠٠٠٤(٠٢) - ٦٤/٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف : الفنان أمين الصيرفي

فيروس سردي

رشا فاضل

إهداء

إلى ذلك الشارع الممتد من أقاصي (المعلّق)..

توغلاً ، حتى منتهى الروح،

محتضنًا شرفتي الأنيقة المبللة بعبق دجلة

ورائحة الآس.

إلى أبي نواس.

تقديم

تمتازُ قصصُ (فيروس سردي) للقاصة رشـــا فاضـــل برشـــاقةِ الســـرد وأناقتِه، إذ يحْفُلُ بانطلاقاتٍ تمتدُّ أحيانًا أكثرَ، ممـــا يســـتوعبَ الخطـــابُ القصصي بوصفهِ الأجناسي الضيق، الذي يُحيلُ على فنِّ القصةِ القصـــيرةِ بمواصفاتِه النوعيةِ المعروفةِ، ليقتربَ من حدودِ الخطابِ الروائي.

إنَّ بهاءَ الجملةِ السرديةِ فيها، يليق كثيرًا بالسردِ الروائي، وإذا ما قُدّر لأحدِ هذه الأحلام أنْ يتحولَ في المستقبلِ إلى رواية؛ كما أتمنى؛ فأحسب أننـــا سنكسبُ روائيةً ننتظرُ منها الكثير.

وعلى الرغمِ مما تبدو عليه فضاءاتُ (فيروس سردي) من محدوديةٍ وتماثلٍ وتجاورٍ، إلا أنَّها تكشفُ عن قدراتٍ كامنةٍ إذا ما أُدركتْ ووظفتْ بنحوٍ جيدٍ وجديدٍ، فإنَّها ستكسرُ هذه المحدوديةَ وتفضي إلى أمكنةِ سردٍ وأزمنةِ سردٍ، وشخوصٍ محركةٍ فاعلةٍ بوسعِها أنْ تفعلَ الكثيرَ على صعيدِ تطـــويرِ هذه التجربةِ النسائيةِ الواعدةِ.

الناقد د. محمد صابر عبيد



الخروج عن النّص

(مَسْرودةٌ من أربعةِ مشاهد)

▪ المشهدُ الأولُ

ترتفعُ الستارةُ. وحدَها على الخشبةِ. تختفي أصواتُهم. تمتزجُ وجـوهُهم، لتصبحَ وجهًا واحدًا. تتلاشى ملامحُه فيما بعد. لا ضوضاءَ. ولا أحدَ أبدًا. تحملُ منْديلاً. بحنانٍ تَلْثُمه، وهي تتنفسُ آخر لحظاتِها معه. تغيب في دفئه، الذي لم يفارقْه بعدُ. تنتبه إلى أنَّ الجميعَ يرقبُها، وأنَّ ثَمّـةَ مَـن يعطيهـا التعليماتِ من خلفها. يذكّرُها بالكلمةِ الأولى، التي يجـبُ أنْ تُقـال، لا بالمِنديل المخبئِ بين ثنايا ثوبها.

تستيقظُ من دفءِ حلمِها، لتغيبَ في الكلامِ المحفوظ عن ظهـرِ قلـبٍ. تسترقُ السَّمعَ إلى دقاتِ قلبِها المتسارعةِ. إنَّه يخفقُ. يخفق بقـوةٍ. تُعـاودُ إخراج المِنديل المخبئِ بين ثنايا ثوبها. تَلْثُمه بحنانٍ. ترفعُ وجهَها نحوَ السماءِ فاتحةً صدرَها. يبتهلُ قلبُها للإله الماثلِ في كلِّ ذرةٍ كونيـةٍ أنْ يحفظَـه. أنْ يغفرَ لها أنها نسيتْ أنْ تُعفّرَ خُطاه بقدحِ ماء ككلِّ مرةٍ.

تشعرُ أنَّ قدميها لا تستطيعان حملَها. تجلس على مقعدٍ مـن الخيـزران. تُحاولُ أن تتجاهلَ دقاتِ الخافقِ الصغيرِ. ثَمّة مَن يعطيها الإشارات، لتكفَّ

عما تفعله. أنْ تعتذرَ وتنسحبَ، لكنَّها لا ترى أحدًا. لا تكترثُ. تستسلمُ للمقعدِ الهزازِ، الذي يحتضنُها، وهي تضم كفيها إلى صدرِها بقوةٍ.

(مازالت قبلتُه كجسدِ طفلٍ وُلِدَ للتوِّ، غضّة وطرية)

يُعاودُ قلبُها الخفقانَ. يخفقُ. تقفزُ إلى مخيلتِها ساعتُه اليدويــةُ، وأعقــابُ السجائرِ، التي سحقَها. تتلمّسُ عيناها أشياءه الصغيرةَ بحنانٍ.

لا تريدُ الإنصات أكثرَ. تنهضُ. تُحاولُ الانشغالَ بتذكّرِ دورَهــا، الــذي مازالتْ تتذكّرُه جيدًا. لم تنسه، كما يجدرُ بها أن تدّعي. تُحاولُ أن تســترَ توترَها بالصمتِ، بترديد الكلماتِ، التي حفظتْها عن ظهرِ قلــبٍ. تشــعرُ وللمرةِ الأولى أنَّ دورَها مضحكٌ. أنَّ كلماتُها هزيلةٌ، كسيحةٌ لا معنى لها.

فجأةً يخرجُ صوتُها صدى لأجراسِ الحزنِ (كلُّ شيءٍ عداه باطلٌ، وقبضُ ريحٍ) ليس ثَمّة مَن يُصفّقُ إذ لم ينتبه أحدٌ من الجمهورِ، أنَّ تلك الجملــةَ، التي حملَها صدى تردد في أرجاء المسرحِ تعني نهايةَ المشهدِ.

▪ المشهدُ الثاني

تمتلئ القاعة بالضجيج..

يستغرب الحضور من هذا الضجيج، المنبعث من خلف الكواليس.. من كل الذين يمسكون أوراقهم بأيديهم، وهم يلوحون لها أن تكف عن المهزلة التي تقوم بها.. وتنسحب بهدوء.. ثمة الكثير ممن حفظوا دورها، ويستعدون لأخذ مكانها على المسرح.. لكنها ما زالت تنظر إليهم ولا تراهم..

لا ترى سوى تلك الابتسامةِ النورانيةِ، التي ارتسمتْ على وجهه وهو يراها تُجهّزُ أغراضه في كلِّ ذهابٍ له لساحةِ المعركةِ. كانت ملامحُه تشي بأمرٍ لا تريدُ معرفتَه. طردتْ من رأسها الأفكارَ السوداويةَ، وهمّت بمغادرةِ الرقعةِ.

▪ المشهدُ الثالثُ

لم يعودوا يتحدثون بالتلميح، بل أخذوا يصرخون بها أنْ تتوقف عن هـــذه المهزلة، وهذه النكبة التي نكبتهم بها. تلتفتُ إليهم ولا تراهم. لا تراهم !

تتقاذفُها مشاعرُ كثيرةٌ. ثَمّة طفلٍ يُداعبُ حمامةً، وتداعبه هي الأخـــرى.. بين تدانٍ وتباعدٍ. فجأةً تفرُّ الحمامةُ. تُحلّق بعيدًا تاركةً الطفلَ يغرقُ في بحرٍ من الذهول.

هذا ما رأته في حلمها في ليلة البارحة.

على الطرف الآخر جنديٌ يُحيّي الضباطَ بابتسامةٍ نورانية، وقلبه تتســـارعُ خفقاتُه نحو المجهول. نحو وجهةٍ لا يعرفُها. ينساق إليها حاملاً استســـلامه وابتسامتَه وصورةَ امرأةٍ وسّدتْه قلبها، وأرضعته دمها، وأحاطتـــه دومًـــا بابتهالاتٍ طالما شقّت سكون الليلِ.

▪ المشهدُ الرابعُ

تفشلُ في إخفاء ولعِها الصعب به. تتحدثُ مع نفســـها بصـــوتٍ عـــالٍ. كلماتُها متقطعةٌ، غير مفهومة. وثَمّة من يُوشك على الجنون، يقف خلفها يائسًا من إنقاذ ما يمكن إنقاذه من مسرحيته المنتظرة.

تنظر إلى الوجوه. تتطلع إليها الواحد تلو الآخر، تبحثُ عن وجه حبيـــبٍ مألوف. عبثًا تُحاول أنْ تجدَه. يخرج صوتُها غاضبًا خائبًـــا (لا شـــيءَ! الجدرانُ عاريةٌ. الوجوهُ غبارٌ!)

تُخرجُ المِنديلَ بعصبيةٍ (لن أغفرَ لك تلك الابتسامةَ. لن أغفر لنفســـي إني نسيت قدحَ الماء) يُتابع الجميعُ كلماتِها بتمعنٍ.

(الحربُ، تلك المواجهة الخرقاءُ وحشٌ بلا قلبٍ، غبي وأبله، هدفُـــه الأولُ والأخيرُ هو القتلُ. لا يهمُ لصالح مَن. القتل هوالقتل).

ينفجر قلبُها ببكاءٍ حارٍ لا تعرفُ سببه.

تجثو على ركبتيها. ترفع يديها نحو السماء. تدعو. وفي حنجرتهـــا تجمـــعُ أدعية كلِّ مَن حولها. بصوتها المخنوقِ بالدمع:

(ياربُّ. احفظْه من الرصاص الغادر، من محرقة الموت، التي ابتلعتْ أباه ذاتَ يومٍ. أبوه لم يتركْ لي سوى ضحكةً نورانية أخرى)

يحتدمُ الصراعُ. يركض مع رفاقه. صوت أمِّه المعاتبُ الحزينُ يعلو على صوتِ القنابل والعيارات النارية. يركضُ بسرعة نحوَ ضفة الأمان.

تكبُرُ ابتسامتُه. سيصل. سيصل. يضمُّ سلاحَه إلى صدره، ليتمكنَ من الركض بسرعةٍ أكبرَ. يخفق قلبُه بشدةٍ. يرى وجه أبيه، وقد علته الابتسامةُ ذاتُها. يمدُّ له يده. فجأةً تتعثرُ خُطاه! يسقطُ سلاحُه من يدِه. ينظرُ إلى صدره. ثَمّة رصاصةٍ استقرتْ في قلبه. بين وجه أمِّه وأبيه يهوي على الأرض المفروشةِ بدمائه. يستقر رأسه على السلاح، وقد ارتسمتْ على وجهه تلك الابتسامةُ النورانية، بينما تحملُ المرأة على الأيادي غارقةً في بحارِ دهشتها وغيبوبتها، وهي تُمسكُ قلبها، الذي أجفل إثرَ صرخةٍ في أعماقها. وسط تصفيق الحضور وهتافهم لها ودهشتهم بهذا الأثر الفيزيائي الذي اعترى جسدها.



الـمَبْروك

كان يمشي وسط زحامهم. يتعثرُ بخطواتهم المتسارعة نحو المجهول.

أنفاسُهم اللاهثة نحو عِرَاك لا يسمعُ له صوت.

وفي لجّة انشغالهم، كان يعبرهم كظلٍّ عصي على الإمساك في خارطة القرية الصغيرة المتكئة على أكتاف نهرٍ ما يزال يصرُّ على التزين بحلّـــة جســـره القديمة من قطعٍ حديديةٍ مرصوفةٍ بحرفيةٍ وإتقانٍ. كانت دومًا موضع تنـــدر شيوخ القرية ومحطّ إعجابهم وامتداحهم الدائم للشركة الإنكليزيـــة الـــتي شيدته، ورحلت منذ عشرات السنين، لتتركه واثبًا وشامخًا، يعاند شيخوخة الزمن التي نالت ما نالته من ألوانه التي اصطبغت أخيرًا بلون الحديد الخام، لكنه بقي صلدًا مصرًا على احتمال شغب السيارات التي تمرُّ من فوق جلده العتيق بحكمة وصبر.

(كلُّ شيءٍ قديمٍ يحمل الأصالة، حتى أخلاق الناس) هذا مـــايردده الســـيد "طاهر المُعلّم" مُعلّم القرية المتقاعد، الذي أفنى شبابه في تعليم الكثير مـــن الطلبة الذين تخرجوا في صفّه. ورغم أنه أُحيل إلى التقاعد قبل سنوات إلا أنّه بقي صاحب الامتياز، كونه المُعلم الأول الذي تستشيره القرية في كـــل

صغيرة وكبيرة، باستثناء يقينها بقدرة (المبروك) الذي يمشي على السريح، وبقدرته على شفاء المرضى وتيسير ما يواجهونه من صعوبات، فهو لم يؤذ أحدًا، و لم يتحدّث مع أحدٍ، ويحبُّه الأطفال،لأنّه يلعب معهم، ويجعل من ظهره مقعدًا لهم، ليغدو حصانهم الذي ينطلق بشعثه وعصاه الطويلة بين الحقول.

لكنَّ السيد طاهر كان يرى فيه عكس ذلك تمامًا، متشفعًا بعلمه الذي يرقى به على أهل المدينة، وخبرته في الحياة، فكان كثيرًا ما يحدثهم عن الجهل الذي يؤلّه النصابين ويجعلهم أولياء. كان يتجه بنظره صوب غرفة (المبروك) الطينية قاصدًا إياه بهذا الحديث كلما رآه محاطًا بشفقة أهل المدينة، ويقينهم بأنّه الأقرب منهم إلى الله، منذ أنْ حطّت عصاه أعتاب القرية قبل ما يزيد على عشرة أعوام فهم يجدونه من (أهلِ الله)، ويتفاءلون بكلماته العشوائية التي تخرج منه بصعوبة، بسبب ثِقَلٍ في لسانه، حتى أنَّ النساء اللواتي يتأخرن في الإنجاب كن يقصدنه في غرفته المبنية من الطين، الملاصقة لزريبة الأبقار في إحدى المزارع التي أشفق صاحبُها عليه فمنحه هذه الغرفة، لتدفع القضاء والبلاء والحسد عن أهله، لأنه من الصالحين ومستجابي الدعاء.

حتمًا قد جرّبوه في أكثرَ من طلبٍ لم ترده السماء، غير أنَّ السيد طاهر بقي يلاحقه بشتائمه حضورًا وغيابًا، رغم محاولات أهل القرية إقناعه بفرادته، إلا أنّه كان يُصرُّ على أنه يّدعي الجنون والحكمة، ليستدر عطف

أهل القرية ومساعدتهم له، مما يمنحه هذا العطف من إمكانية العـــيش دون أي عناءٍ، فهو مُعززٌ مُكرّمٌ. في كلّ مكانٍ يذهب إليه، لا أحدَ يزجره، كما أنْ لا أحدَ يتنبه لوجوده أو غيابه. هو ليس أكثر من ظلٍّ يأتي ويـــذهب، دون أن يترك أثرًا على الأرض.

غير أنّه فاجأ أهلَ القرية ذاتَ يومٍ بما دفعهم للاستماع لكلام السيد طاهر بشيءٍ من اليقين، أما البعض الآخر فقد انصرف إلى تحليل سلوكه الغريب في استقباله للمحتلين على أنّه جنونٌ غير قابلٍ للشك، فقد قام بـــالوقوف على جانب الطريق، حيث مرّت الدبابات الأمريكية التي عبرتـــه دون أن تهتم بوجوده. كان يرقص حاملاً عصاه الطويلة ويطلق أهازيجَ غيرَ واضحةِ الكلمات، بسبب ثِقَل لسانه. بقي على هذه الحال كلّما مرَّ مـــن أمامـــه موكبٌ للمحتلين، الذين اعتادوا شيئًا فشيئًا على سلوكه، الذي استحبوه، مما دفعهم لمنحِه سلةً غذائيةً فيها ما لذَّ وطاب، وحتى ورق التنظيف الذي لم يكن يعرف ماذا يفعل به، فتحه أمامهم ذات مرة وتأمله وبعد أن استطاب عطره، وضعه في فمه فتفاجأ بطعمه وضحكهم وكلماتهم الهجينة، الـــتي لم يكن يفهمها، وفي الحال بصقه على الأرض، لكنـــه أعـــاده إلى الكـــيس الزيتوني المختوم بعلم الـــ(USA) وأخذ يركض به حاملاً إياه بيدٍ وعصاه الطويلة باليد الأخرى نحو غرفة أسراره الطينية مخلفًا ضحكاتِهم وتعليقاتِهم التي اعتاد عليها.

في صباح يوم الجمعة، حيث تعوّد أهلُ القرية التهيؤ في منتصف النهار للذهاب إلى الجامع الوحيد فيها لحضور خطبة الجمعة، كان الكثير من الرجال والشبان بدأوا يتوافدون مع صوت المؤذن وهو يعلن بدء صلاة الظهر، مُزينين بجلابيبهم البيضاء وسراويلهم، محفوفين بالعطور التي تفوحُ من مسيرهم المنتظم باتجاه الجامع المحاذي للشارع العام للقرية،حيث غرفته الطينية التي تُشرف على المارة نظرًا لارتفاعها عن الشارع واقترابها منه أيضًا.

كان السيد طاهر في طريقه إلى الجامع حاملاً مسْبحته ومُرتديا نظارته التي يجد فيها عبقًا من هيبة الأعوام الطويلة التي قضاها في التعليم. وفي منتصف الطريق مرَّ رتلٌ أمريكي جعل الجميع يبتعد عن الشارع، وكان بعضهم يصعد التل المحاذي له، حيث تتمركز الغرفة الطينية في قمته، أما الصبية فكانوا ينتظرون مرور الرتل ليفوزوا بمشاهدة المبروك الذي يمشي على الريح، وهو يسابقهم ويُطلق صيحاته المبهمة، ويحمل عصاه ليهوس بها، حتى يرمي له المحتلون من نوافذهم كيسًا مملوءًا بالحلوى والطعام خلال مرورهم السريع.

كان السيد طاهر قد بدأ يتسلّق التّلَّ بصعوبة، حتى ساعده بعض الشباب. نجح في الوصول إلى قمته بعيدًا عن الرتل، وقريبًا من الغرفة الطينية، إذ خرج المبروك كالمعتاد، يحمل عصاه، ليطلق صيحاته بوجه الرتل، وسط ضحكات الصبية الذين تجمّعوا حوله. ما إنْ بدأ يهبط إلى الرتل حين كان

الناس يصعدون إلى التل متلافين الرتل، حتى وصل إلى حافة الشارع، فأخذ صياحُه يرتفع أكثر. عصاه تكاد تطير من يديه، لحركته السريعة وانفعاله، وهو يرتفع بها فوق أهازيجه المبهمة التي صمتت حال رمي الكيس الزيتوني. حمله بسرعةٍ من الأرض. صعد به إلى التـــل مُلاحقًـــا بصـــياح الصـــبية وضحكاتهم التي أسكتها حال وصوله إلى غرفته الطينية بعصاه الخشـــبية. أخذ ينشُّ بها الصبية عنه وعن كيسه كما ينشُّ الذباب، غـــير أنَّ الســـيد طاهر بقي صامتًا، يرقب سلوكه باشمئزازٍ، وحين انتهى الرتل من عبـــوره؛ عاد الجميع ليسيروا في الشارع، وهم ينظفون بياض ملابسهم من التـــراب العالق، باستثناء السيد طاهر الذي بقي محافظًا على هدوئه، وهـــو يرقـــب لهاث مُبَارك القرية، كيسه الأخضر الذي راح يركض به إلى داخل الغرفة. كانت قدما السيد طاهر قد قادته بحركة آلية إلى نافذة الغرفـــة الصـــغيرة، ليرى محتوى الكيس الأخضر، الذي تتحلّق حوله الحكايات بما يحويه مـــن عجائب مفترضة، وحين التصق وجهه بالنافذة الصغيرة لَمْ يتمكنْ من تمييزِ محتوى الكيس، لأن الرجل كان قد أفرغ محتوياته على تلٍّ مـــن العلـــبِ وأكياسِ الطعام المسلفنة. راح ينتصب فوقها يرشُّها ببقايا ما احتوته مثانته، في حين جعلتْ الرائحة تستدرج الدرب إلى منخري السيد طاهر.



ثلاثيةُ المطر

▪ حلمٌ

استيقظتْ في صباحٍ لا يُشبه الصباحاتِ، وهي تتثائبُ نشوى وكسلى. عيناها تكادان أنْ تخترقا الغرفةَ المجاورةَ، التي ينتظر فيها الأمير. لم تُفكّرْ كعادتِها بارتداء أبهى ما احتوته خزانتها.

دخلتْ عليه بملابسِ نومها وحلمها. نظرت إليه من ثقب البابِ. أول ما سقطت عيناها عليه كان سمرتُه الطاغية. لم تعجبْها، وفي لحظاتٍ كان الرفضُ قرارُها. لكنَّها قررت أنْ تلعبَ اللعبةَ. جزءًا صغيرًا من اللعبةِ، لتتركه بعدها كأيةِ طفلةٍ ملولٍ.

جلست قربَه. كان طويلاً، رغم أنَّه كان جالسًا. سمرتُه تقرفُها إلى حدٍ بعيد. تبقى معه وحدَها بعد أنْ تنصرفَ أمُّها وأخته بحيلةٍ نسائيةٍ صغيرة.

ينتابها القلق!

يغلي الدم في عروقها. هاهي تواجهه وحدَها!

أخبرتْ أمَّها في لحظةٍ مداعبةٍ عابثةٍ أنَّها تريدُ أن تسألَه بعض الأسئلة!

ينظرُ إليها. عيناها مسمرتان على حذائه. كمْ تكره هذا اللون العسكري!

ماذا ستسأله ؟!

تنتقل إليه الحيرةُ هو الآخر. ترفع رأسَها. تنظرُ إليه،كمَن يتطلّع إلى حيوانٍ غريبٍ، ملامحُه مألوفةٌ. مألوفةٌ أين؟!.. تذكرتْ!
إنَّه يُشبه حيوان الفقمةِ، الذي تكرههوتشمئزُّ منه. كمْ تكرهما! وكمْ تُشفقُ عليه!

يقطعُ حيرتَها، وهو يتناولُ قدحَ الشاي المنتصب أمام حيرته. يسألُها عن كلِّ ما أرادتْ أن تعرف عنه. تحلُّ عقدة لسانِها، ليبدأ الخوض في غمار حديثٍ، لا تعرفُ كيف تدير دفته.

يعي شيئًا من لُعْبتها وأساليب مناورتها؛ التي تمارسُها بين كلمةٍ وأخرى. يُشعل لفافة، تكادُ تذوبُ بين شفتيه؛ لفرط قسوتهما. تتسلل إليها أصابع الملل. تقرر أن تُنهي اللعبة. تُخبرُه أنَّ العالَمَ لن ينتهيَ عند أعتاب رفضها له. وأن مواصفاته تتمناها أيةُ فتاة أخرى، لكنْ بالتأكيد ليست هي، فهي لا تهمُّها ضخامةَ الأشياء.. و...

تشعرُ برغبةٍ مجنونةٍ في الضحك بملئ فمها وحنجرتها. يُفاجئها صوتُه، وهو يقول لها: (سنكمل حديثنا عبرَ الهاتف، ماذا تقولين ؟!)
ماذا تقول سوى أنها ازدادت ولعًا وشغفًا بهذه اللعبة الفريدة؟!

▪ يقظةٌ

تمرُّ الصباحاتُ غير آبهة بما امتدّت إليه خُيوطُ الحكاية. كانت طفلةً تُداعبُ الطبشور، وهي تخطُّ به طريقًا، وتمحو آخرَ، لتبدأ من جديد.

في الوقتِ ذاتِه كانت ثَمّة أيدٍ خفية، تحملُ جمرًا، لتخطَّ به طريقًا لاهبًا حارقًا، لا حيادَ عنه.

ليلى والغابة الكبيرة والذئب أصبحوا أصدقاء!

خلعَ الذئبُ أنيابه ومخالبه الوحشية، ونزعت الغابة عن جسدِها غلائل الوحشة والخوف. بدت كأحضان عاشقٍ.

هاهي تمزّق شرنقتَها كأيةِ فراشةٍ لم تجرّب الطيرانَ بعدُ.

كلُّ ذلك القرف تحوّل إلى عشقٍ فريدٍ لكلِّ ما هو موسوم بالسمرة الحميمةِ.

كان هو البداية التي لم تنته. كانت هي الخاتمة التي لا نهايةَ لها. لم يبق للحلمِ سوى الاكتمال بالاغتسالِ تحت أصابع الشمس.

ها هي تستسلمُ لأناشيد الطبيعة.. لهمساتِ حلمٍ ضاقَ برحمِ العتمة، فراح يرتّل أناشيده لغوايةِ الفجرِ.

▪ متاهةٌ

كانت السماءُ تُمطرُ بغزارةٍ. كأنَّها تُشاركُ ليلى الحفل البهيج. كان المطــر يشتدُّ كلّما ازدادت أصواتُ الموسيقى صخبًا وجنونًا.

ها هي سيمفونية الطبيعة تشتركُ مع ســيمفونية الأرض، لعــزف لحــنين متضادين متحدين في آنٍ واحد. كانت الموسيقى رغم صخبِها تُشبه لحنًــا جنائزيًا يقطرُ حزنًا ويفيضُ وداعًا. كانت هي تجلس كالتماثيــل الهنديــةِ العاجية؛ في مقعدٍ ليست فيه؛ بثوبها الأبيض المخْمَلي. عشــرات الفتيــات الصغيرات يحملن بقاياه. يلتففن حوله كالملائكةِ حين يحيطون بالمحتضــر، وهو يرقُب كفنه بحسرةٍ داميةٍ.

الراقصةُ ترقص. ثَمّة من يُطلق الزغاريد، والأمير يتطلع إليها بنهم شرقي، بينما يجلسُ التمثالُ العاجي، وهو يردد بآلية وخازة (شكرًا) لكــلِّ مَــن يُهنئ بالصيد الباهر.

يزداد صخبُ الموسيقى. تصدح معه أصوات غنائهم. تتسمر عيناها علــى أميرها. يبدو مبتهج الوجه وهو يُمارس رغبته المجنونة بأنوثتــها الباذخــة. متحفزًا كالنسور للانقضاض على الفريسة المنتظرة. تشعر بأنَّهــا زهــرةٌ، تُوشك على التعري من أوراقها، وسَرعَان ما بدأتْ تُعاني برد العراء.

تغتالُها الرغبة في أن تنسلّ من بينهم، لتغيبَ في الدمعة المشتهاة.

تعودُ لدائرة الوعي، لحفلِهم البهيج، لضحكاتهم الصفيقة، وهم يصقونها في وجهها. تنصت لأشياء كثيرةٍ تتهاوى في جوفها. تنصت لصدى الرحيل وانكسار المرايا، تتساقطُ على بعضها كما يتساقط الورقُ اليابس تحت رحمةِ رياحٍ خريفيةٍ لا ترحمُ موته.

ما زالت الغجريةُ تتمايلُ بغنجٍ ودلالٍ مصطنعين. هي ترقبها باشمئزازٍ دامي النظرات.. ترقبُها والدموع تهمي في الأعماق شلال حزنٍ لاينضبُ.

يتمعنُ الأمير في الغجريةِ. يكاد أنْ يلتهمَها بنظراته، وهو يفكر بأي جزء سيبدأ الوليمةَ الليلة، بينما يخفقُ القلبُ الأعزلُ وحدَه، وهو يردد أنشودة الفرح العقيم.

(افرح. يكفي أنَّ أحدنا سيكون سعيدًا، وإنْ كان الآخرُ يهيمُ في ساحات ذعر وغربة، تستوطنُ الوجوه والزوايا. يدوس على قلبه ذلك الخاسر الوحيد، مصرًا على تكويره ليكونَ حجرًا).

تُغمضُ عينيها لترى جيدًا. ترى طفلةً تجوب الوجوهَ الموحشة بحثًا عن ملامحها وصوتها وضفائرها.

تُمعنُ النظرَ في الغجريةَ (استمري بتمايلك وأنتِ تنتشين بمنظرِ اللعاب وهو يسيلُ من الأفواه المفتوحة المتطلعة بنهمٍ للقليل المختبئ تحت عُري ثوبك. سأنتهي من دفن ملامحي).

تسيرُ الغجرية من أمامها. ينهضُ الأمير من مكانه معلنًا انتهاء الحفل، ليبدأ الحفل الحقيقي.

الكوابيسُ تتوالى. الأفكارُ تتسارع. تمتلأ ذعرًا !

يسير الأميرُ وهو يضغطُ على يدها بقوة. ترفع معنوياته بابتسامةٍ ميتة.

تشعر بدُنُو لحظةِ الغياب الذي لا عودةَ منه.

(خائفةٌ؟! خائفةٌ، وها هي الروح تتناثرُ قطعةً قطعةً، لكنّي لا أملكُ إلا أنْ أمضيَ. كلُّ تلك الأناشيد الحالمة. ذلك الحُلم العذبُ. تتساقط من ذهـني. أنفضُها، كما تنفضُ الأشجار الورق اليابس. وتظلُّ واقفةً تُواجـه عريهـا بانتظار الشمس).

شيءٌ ما يدفعُها لأن تُلقي بباقةِ الزهور الـتي تحملـها. تـنحني الفتيـاتُ الصغيراتُ على الأرض، كأنهن عصافيرُ تلتقطُ حبّات القمح بلطافةٍ خرافية الجمال والأناقةِ.

تتطلعُ إليهن بحنين أمٍّ فقدتْ طفلَها للتوِّ. تقعُ عيناها على زهـرة نـرجسٍ بيضاءَ لم يلتقطْها أحدٌ. يلتمع في عينيها بريقُ الرحيل. يتعجب الأمير مـن وقوفها المفاجئ. تعتذر عن غرابتها ودموعها، التي فسّرها هو والمحتفون بها على أنها (دموع الفرح)، تمسحُ ما يدعونه بدموعِ الفرح وتمضي معه.

هي وقلبُها طفلان يبحث كلٌّ منهما في وجه الآخر:

عن غابةٍ

عن ذئبٍ

عن مطرٍ ناءٍ يُشبه شمسَها الحانيةَ.



حبيسةُ المدينةِ الزجاجيةِ

يَطلُّ المساءُ الكئيبُ على شرفتي مُشرَّبًا بحنينٍ غامضٍ. أتكوّم لِصْقَ نافـــذتي الأثيرة المُطلَّة بفضولٍ دائمٍ على نشاط البحر، متطلعةً لإغراء أمواجه، الـــتي لا تكفُ عن التكسّر والعويل، متاملةً الضفافَ وهي تحتضــــنُ ثُلّــة مـــن الأطفال يتقافزون بمرحٍ غامرٍ. يخترق سمعي ضـــجيجُهم النَّـــدي متســـلقًا سطوحَ الموجات.

كمْ كنتُ أتمنَّى لو أنّي صماءُ كي أتفادى تلك الأصواتَ الجبارة، وهـــي تسخرُ من ضعفي وخواري، وتوقظُ في فضائي الجريح أكثـــرُ الـــذكريات وحشةً وعنفًا.

أدفن رأسي المتعب بين يدين ترتجفان لأي سببٍ كان ربما ترتجفان من دون سبب يُذكرُ. أدخل في محاولةٍ يائسةٍ لنسيان كل شيءٍ: وجوه غرزت بـــلا مبالاةٍ الكثير من الإبر في اللحم الطري، وهي تردد على مرِّ الســـنوات : (وريدُها ضعيفٌ. ينبغي أن تتحمّلَ هذه الوخزات).

هي الوحيدة التي كانت تعرفُ بأنْ لا وريدَ لديها، ولا شيءَ أبدًا. لا شيءَ سوى بياضِ الجدران و الأغطية، وكمامة أوكسجين صفراء، تزيدُ الصدر اختناقًا. لا شيءَ سوى عجوز صديقةٍ، منحتُها كابوسًا ورحلتْ. كانــتْ تعاني من المرض ذاته. رحلت هي وتركتها وحيدَةً. تعيش الكابوس ذاتَــه كلَّ ليلةٍ. ارتعدتُ كفأرٍ مذعورٍ،وهي تفتحُ باب غرفتِها !

يدان تتخبطان في الهواء. تتشبثان بالأيادي الممتدة من حولها. لفيف مـــن الأطباء عبثًا يحاولون غرز الحياة في الجسد الهزيل المنطفئ. لم يمضْ وقـــتٌ طويلٌ. غادر الأطباء الغرفة. غطوا وجهها بخرقةٍ باليةً.

(لم أستطعْ منعُ يدي من رؤية ما تخبئه الخرقةُ البيضـــاءُ! هنـــاك عينـــان شاخصتان نحو السماء بهلعٍ أخرسٍ. كانت – للمرة الأولى – فارغتين من أي معنى.. جاءني صوتُها من دون أنْ تُحرّك شفتيها الزرقـــاوين (هـــذا مصيرُك الفاني. أنت التالية مهما طال بكِ الوقت).

لا مفرَّ!

تشعرُ أنَّ صدرَها يضيقُ شيئًا،فشيئًا. نَفَسُها يزدادُ صعوبةً. إنَّـــه موعـــد الزجاجات المصطفة أمامها. إنَّه يومٌ آخرُ. سيُشطبُ من تاريخك.. إنَّه العدُّ التنازلي لذلك الرحيل المحتوم. يعودُ وجه تلك العجوز يتشـــكّل أمامهـــا بالندبة المحفورة على جبينها وأسنانها المتساقطة. يزدادُ اختناقُهـــا. تزيـــدُه رائحة المطهرات، عطرُ الموت الأثير الذي يملأُ المكان.

تفتحُ النافذة. البحرُ وحدَه يفتحُ لها ذراعيه. يأخذها الحنين إلى أُناسٍ لم يكونوا معها. يخنقها الدمعُ في عيني أبيها، وهو يقول لأمها ذاتَ يومٍ بأنَّه يتمنى أن يشتري مرضها، ويمنحها صحته. كمْ تمنتْ حينها أنْ تحمل سكينًا وتغرزه في عنقها وصدرها، كي تستخرجَ قصباتها الهوائية، وتريح أباها من وجودها العقيم، لكنها لم تجرؤ. لن تفعلَ. لأنَّها كما قالت تلك العجوز لها: مجرد جبانة أخرى. الهواء الحقيقي يملأُ الكون كلَّه، لكنها أضعف من أن تُلبّي دعوة البحر بكسر علبة الهواء المصنّع، والهروب من المدينة الزجاجية، لاحتساء لحظةَ حريةٍ.

مازالت أمواج البحر تُعربِدُ بين حنايا فكرها وروحها. كلُّ موجةٍ ذراع عاشقٍ يناديها. رذاذه قبلاتٌ محمومةٌ تُطبعُ على الجبين الشاحب دومًا. أنَّى لها أنْ تذهبَ إليه، وقد اقترب موعدُ دوائها، ولزوجة كمامة الأوكسجين الصفراء تشدُّها إليها !

تتذكّرُ ذلك الحلم. كان وجهُها خلف قضبانٍ كثيرةٍ. كان البحر وراء القضبان. تكره هذا الكابوس. تُعَاودُ النظر إلى البحر. تطمئن أنَّ النوافذ كلَّها مشرعةٌ في وجهِها. ليس ثَمّة وجودٍ للقضبان. تتمنى لو أن جسدها يرتشفُ بعضًا من رذاذه. وحدَه يُتيحُ لها فرصةً للحياة.

مَن يدري؟! قد تشفى لو ذهبت إليه ! أو تكتشفُ بأنَّ مرضَها هاجسٌ أو أكذوبةٌ !

تتجاهلُ التّكاتِ الرتيبةَ الشاخصة فوق رأسها. تُذكّرُها بموعد الزجاجات المصطفة أمامها. تنهضُ، تحاول أن تفتحَ الباب بأصابعها الخائرة، تفتحه ربع فتحة. تَطلُّ بعينٍ واحدةٍ على الممر الطويلِ المؤدّي إلى الخارج. تُحاول أنْ تضعَ قدمها خارجَ حدود الغرفة نَفَسها. يزدادُ صعوبةً. تتضاءلُ كميّةُ الهواء الداخل إلى رئتيها. قصباتُها الهوائية تتأهّبُ لبثِّ تلك الأصوات المستغيثة. تضعف، تُدير رأسَها نحو الزجاجات الشاخصة أمامها بتحدٍّ. تسرع نحوها، تُلْقي بها على الأرض. تتسللُ الراحة إلى روحِها، وهي ترى الضوءَ ينعكسُ على الزجاج المتناثر ورائحةِ الدّواء النّفّاذِ، التي غمرت المكان بصفرتِها. تواصلُ سيرَها.

ثَمّة عرسٍ في الخارج. ثَمّة أناشيدَ تُطلقُها الطبيعة بوجهِ الموت. تشعر بأنَّها قويةٌ، وأنَّها أصحُّ من الجميع. رغم أنَّ قصباتِها الهوائيةَ بدأت تُطلِقُ ذلك الشخير الذي يُنبئُ بنوبةٍ قاسيةٍ. تحاول أنْ تُكملَ خطواتِها الأولى، لكن تكّات الساعة، جرس إنذارٍ يدقُّ في رأسها معلنًا موعدَ الكِمَامة الصفراء، ونُثَار الزجاجات الذي يملأُ الغرفة، لكنَّها لن تعود !

أناشيدُ البحر تعلو في أذنيها. كأنَّها أصواتُ جوقةٍ موسيقيةٍ في كنيسةٍ قديمةٍ. ترتّلُ نشيدَ الحياة، ومكانها بينهم. لن تعود.

تمضي مُسيّرةً مسحورةً بتلك الأصوات. تسيرُ، وهي تــتلمس الجـــدران، كمَن يتلمّسُ طريقه نحو الشمس. تسيرُ بهدوءٍ حافيةً القـــدمين. تنظـــر إلى الردهاتِ المُتخَمةِ بالمرضى، عطرُ الموتِ الأثيرِ يفوحُ من الجدرانِ والزوايـــا (إنَّهم يموتون بسبب هذه الرائحةِ. لا أحدَ يعلمُ ذلك. إنْ أخبرتُهم، فلـــن يصدقوني. موتًا هنيئًا).

الموتُ يُضاجعُ أشلائهم الغافية. إنَّه يُضاجعُ حتى نباتات اللبلاب المتدلية من الأعلى. تشعرُ بالوهن، بالكثير من الوهن. تعود الدقاتُ الرتيبة، لتـــدقَّ في رأسها. لا، لن تعود. قصباتُها تُطلقُ الأصوات المستجدية، لكنّها لن تعود. (لماذا أموت بالتدريج ؟! الموتُ العشوائي أسوأ من الموت بعينه. لكنني هذه الليلة لن أموت. سأرفضُ الموتَ، فأنا لن أعود للنثار والكمامة الصـــفراء ذات الهواء المتعفن).

يتصببُ العرقُ من جبينها. أطرافُها تزدادُ زرقةً. أصابع يديها و قـــدميها. (لا. لن)

تواصلُ سيرَها المتقطع. تسند قامتها على الجدران التي تتشبث بها في سيرها على طول الممر. سوف تصل، خطوات قليلة بينها وبينه. تسمع أصـــوات ضحكاتٍ قادمةٍ من مكان قريبٍ. تمدُّ رأسها، لترى مَن في الداخل. إنهـــا الطبيبة التي تكره، والتي كانت دومًا تنظر إليها باشمئزازٍ. كم تكرهها!

ها هي تغازلُ الطبيب المقيم. تدمدم مع نفسها بضحكةٍ ســاخرةٍ (قــزمٌ وحرباءُ.. لا يصحان للاندراج ضمنَ قائمةِ الأطباء. لن يتزوجهــا، فهــي حرباءُ. سيكتشف ذلك في ليلةِ العرسِ، وسيضطرُ إلى القفز مــن النافــذةِ لأنَّها ستحكمُ إقفال الباب عليه حتما).

تنتابُها نوبةُ سعالٍ قويةٍ. تضع يدها على فمها لئلا يســمعوها. يُعاوِدُهــا السعالُ. تخنقه في صدرها، وهي تسيرُ بسرعةٍ متعثرةٍ، وثرثرتُهم مازالــت تتناهى إلى مسامعِها. يهبطُ على قلبها وجعَ الأحلام العجَاف، وهي ترددُ: (حرباء. مجرد حرباء..)

ثَمّة زرٍ على الحائطِ. تشعر بلذةٍ طفوليةٍ، وهي تُكسّرُ الزجاجةَ الصــغيرةَ، وتضغطُ على زرِ الحريق وتمضي ضاحكةً.

(إنَّها أمسيةٌ رائعةٌ)

تعبرُ الجسرَ الحديدي المحاذي للبحرِ. صدى الأمواج، يعلو صوتُ قصباتِها. إنَّها تمطرُ. تجتاحها النسائمُ العليلةُ والبشائر الحالمة.. إنَّها تمطرُ، مضى وقتٌ طويلٌ لم تُقبّلْ فيه قطراتُ المطرِ جسدَها الواهنَ. مَن قال إنَّ المطر يضرٌّ بها؟

أصابعها تزداد زرقةً. العرق المتصبب من جبينها وجسدها يختلطُ بحبّــات المطر. كلُّها نبوءات لقادمٍ جديدٍ. ستُشكّل بجسدٍ آخر. لا يمكــنُ لهــذه الروحِ القويةِ أنْ تستوطنَ هذا الجسدَ الخَربَ الواهنَ.

يقتربُ صدى الأمواج. تعجزُ قدماها عن حملها. تسقطُ. تتــهاوى علــى الأرض. يمتلئُ فمُها بالطين (كمْ أعشق رائحةَ الترابِ المبلــل بــالمطر!). تحاولُ الزحف على الأرض، التي تَميدُ من تحتها. البحــر قريــبٌ منــها. يصطخبُ في ثنايا فكرها وروحها وجسدها. تسمعُ همهماتٍ بعيدةٍ. تنظرُ خلفَها. أسراب حشراتٍ تلاحقُها بقمصان بيضٍ (لن أستســلمَ. البحــر يمنحني خلودًا، وهم يمنحونني مصيرًا فانيًا مثلَ تلك العجوزِ).
يختلطُ العرق بحبّاتِ الطينِ العالقةِ على جبينها وخصلات شــعرها (إنَّهــا عناصرُ الطبيعةِ والتكوينِ تمتزجان معًا لخلقي من جديد).

أصابعُها تزدادُ زرقةً. تتنفس بصعوبةٍ. التّكاتُ الرتيبةُ ما زالتْ تــدقُّ في رأسها. تزحفُ على الطين. المطرُ يُنْدي جبينها. تستسلمُ بخشوع لحباتــه، وهي تطبعُ على الجبين الشاحب قبلاته الطرية. تقتربُ من البحر. خُطواتٌ بينها وبينه. خُطواتٌ لم تعدْ قادرةً على تجاوزها. تتقرفص على بعضــها، تشعرُ أنَّ ثَمّة مخلوقًا يُحلّقُ فوقها.

ترفعُ رأسَها المغسول بالمطر والدموع. إنَّها نوارسُ البحر. تُحلّــقُ فوقهــا، تداعبُها بحبٍّ وإصرارٍ. تقتربُ من البحر. لا تستطيعُ أنْ تتــنفسَ. تفــتحُ عينيها على اتساعهما، تتطلعُ إلى مديات بعيدةٍ لا يراها أحد سواها. تطبقُ حواسَها على صدى أمواجه. ها هو رذاذه يُنْدي وجهها. بخشوع تمتصُــه مثل كيانٍ رملي. يمتلئُ جسدُها بالبكاء.

أصواتهم، وجوههم، الزجاجات الصفراء، الكمامة الصفراء، النحيب والبكاء. كلُّها حلقاتُ دخانٍ في فضاء عميق. إنَّه اكتمالُ وجودها، لا نهايته..

ينبثق الحلمُ من البحر،وهو يحتويها، بصدى أمواجه الضاحكة بسخريةٍ مؤلمةٍ من حبيسي المدينةِ الزجاجيةِ.



أجنحةُ الليلِ

المطرُ يهْطِلُ بوحشيةٍ على جسدي. كأنّه أنيابٌ تنهش أوصالي، وأنا ألوبُ بين الشوارع والمنعطفات. لا أعرفُ أين سأتوقفُ، وفي أي محطةٍ أستريح. المدينةُ موحشةٌ، أمطارُها المتوحشة. شوارعُها الخاوية المزخرفةُ بنقوشِ لغــةٍ مجهولةٍ. عبثًا حاولت فكَّ رموزها. متى تنتهي رحلة كلِّ ليلةٍ. أليس لكــلِّ شيءٍ نهاية ؟!

أم أنَّ هذا الدوران أزلي، كدوران الأرض حولَ الشمسِ، وتتابع الفصول. متى أخرج من هذه الدائرة الجهنمية التي تخنقني كلَّ ليلــةٍ. تجــبرني علــي ممارسة رحلة الزحف بجراحِ روحي على جليدهم الأسود ؟!

- (كابوس، مجرد كابوس).

هذا ما يردده الآخرون وسليم، الذي أصبح منهم (إنَّه مجرد كابوسٍ عابرٍ لا تعيريه اهتمامًا، ثَمّة أشياء أخرى رائعة، هي ما تستحق اهتمامك).

يبدو كلامه مقنعًا. السيدة الحقيقية يجب ألا تُظهرَ حزنَها وقلقها أمام أحدٍ. يجب أنْ يظلَّ القناعُ مُسدلاً على الملامح الحزينة. سمكة السردين يجــب أنْ تبقى نائمةً في علبتها المحكمة. يجب ألا تخرجَ كي لا تتلــوثَ بهــوائهم أو تُصاب بعفنهم. السمكةُ نائمةٌ عاقلةٌ، ما فكرت يومًا بكسر علبتِها، ولــن

تفعلَ. تريد أنْ تظلَّ مستسلمةً، لذلك الشعور المريح، وهـو يتسلل إلى أعضائها وأفكارها، ويُثلجُ مشاعرها. هكذا تشعر بأنَّها مرتاحةٌ وسعيدةٌ، لولا ذلك الكابوس الذي يستنبت من كتفيها تلك الأجنحة، التي تكبُرُ بسرعةٍ شيطانية، لتحلّق بها فوق توابيتَ، تفغرُ فاها، وهي تتحدث معها بتلك اللغة التي تحاول عبثًا فهمها.

كمْ تكره الليلَ، الذي لا ينتهي إلا بالصراخ والفزع. لفيف الخدم حفظوا تفاصيلَ الكابوسِ، لكثرة زياراته لها.

صباحٌ جديدٌ.
لتزعمْ أنَّه كذلك، لا سيما، وأنَّه سينتهي بمساءٍ يُفترضُ أن يكون حافلاً. يجب أن أسرع بالتحضيرات،لحفل الليلة. ضيف الشرف فيها سيكونُ رجلَ أعمالٍ له سطوةُ الحوت في بحر التجارة. تمتدُّ يدُها لترفعَ سمّاعةَ الهاتف. تتصلُ بأشهرِالأنامل التي تُتقنُ فنَّ رسم الأقنعة. ها هو أشهرُ صانعٍ للدمى. المكانُ يعجُّ بذواتِ الدم الأزرق.

الدمية تجلسُ أمام المرأة باستسلامٍ وإذعانٍ لليد السحريةِ، وهي تتفننُ في إعادة صياغتها من جديد. الدميةُ تنتظرُ، لا يطولُ انتظارُها.. ها هي اللمساتُ الأخيرةُ. الدميةُ جاهزةٌ. ترتفع أكفّ بقية الدمى، وهي تُصفّق للمعجزةِ الخارجةِ من بينهم، لما تحمله من رسمٍ مُتقنٍ وبديعٍ.

تخرج الدمية يبتلعُها الضبابُ. تسرع إلى سيارتِها تحـــت نقــراتِ المطـــر والسائق يفتحُ الباب بسرعةٍ أكبرَ خوفًا على وجهها المرسوم بعنايةٍ بالغـــةٍ. ضجيجُ السيارة، وهي تمضي يبتلعُ الشارع، بينما يغرقُها الصمت في أعماقه السحيقةِ.

المترلُ حفنةُ أضواءٍ ملونةٍ، وسحبُ دخانٍ وعطورٌ متناحرةٌ. تنتصر الملامح الجميلة بكبرياء. تعلوها ابتسامة ترحيبٍ للمهنئين بعيد الميلاد.

(ليست ثَمّة سعادةٍ في الكون أكثر من هذه. سعيدٌ يا سليم بســـعادتك، فأنت المتاحُ من وطني. أنت تُحيي مدعويك وتقدّم لهم أوراق مشاريعك. تثير دهشتَهم بعبقريتك. أقف إلى جانبك. أفعل ما يســـعدك، ويســـاعدك على النجاح. سعيدةٌ يا سليم، لو لم يدخلْ في هـــذه اللحظـــات الحـــرس الشخصي لذلك المُلقَّب بالحوتِ). الكل يصمتُ. المكانُ يغرق بالدهشة. يدخل بجثته الضخمة.

يُخيّل إليها أنّه ينتصبُ تحت بقعةٍ حمراءَ دائرية، تتركّزُ على جسده ورأسه وملامحه. يتقدم سليم ليصافحَه. تبتلعه البقعـــةُ الحمـــراءُ هـــو الآخـــر. يتصافحان. يتحدثان. تُشعلُ لفافةً. تشعر أنَّ قناعَها يُوشك على السقوط. تتفادى الفضيحةَ، بافتعالها الاندماج بالحديث مع إحداهن.

(أُفكّر بجديةٍ استحداث دارٍ جديدة للأزياء. تحمل الحرف الأول من اسمي والحرف الأول من اسم زوجي سليم).

الكل يُثني على الفكرة الرائعة. تنفثُ الدخان، وهي تـــردد مـــع نفســـها بضحكةٍ ساخرةٍ (حقًا إنَّها فكرةٌ رائعةٌ).
يلوح أمام عينيها فجأةً شبحُ أفواهٍ جائعةٍ، لا تجد ما يسدُّ رمقهـــا وأفـــواه أطفال تلثغُ بالقحط واليباس. تعلو في أذنيها أصوات بكائهم على أصوات الموسيقى الصاخبة. لا تريدُ أن تسمعَ بكاءهم،لطالما كرهت بكاء الأطفال. يسقط رأسها بين كتفيها محاولةً منها لتفاديَ تلك الأصوات. تسدُّ أذنيها. يلتفت إليها سليم من البقعة الحمراء المتمركز فيها، هو والوليمةُ المنتظرةُ.

تتصلّب نظراتُه عليها! تفهم الرسالة!
تُعاودُ الدخول من جديدٍ في دروبِ المتاهة. تبتلعُها الدهاليزُ المزينةُ بنقوشِ تلك اللغة التي عجزت عن فكِّ رموزها. تنزلق في نفقِ الريح من جديـــدٍ. تعلو في أذنيها أصواتٌ غريبةٌ، تنبعث من وجـــوهٍ مكســـوةٍ بالرخويـــات والطحالب. أفواهٌ كثيرةٌ متشابهةٌ تتحدث بلغةٍ مجهولةٍ لم تستطعْ أنْ تألفَهـــا أو تتآلف معها. هي لا تملكُ إلا أن تدوّر وتدوّر، لتحاولَ معرفـــةِ طريـــق الخلاصِ من حصار أصواهم. تصرخ بهم، وبذلك الصوت المنبعـــث مـــن أعماقها البعيدة. تدور بين دهاليز الظلمة، فترى وجـــه امـــرأةٍ مـــألوف، ينعكسُ على الكثيرِ من المرايا. لا تريدُ أن تراه. تهرب من جديد. تـــدخلُ نفقًا آخر. الوجه نفسُه ينعكسُ على المرايا، وهو يضحك بسخريةٍ. تشعرُ باللاجدوى من الهربِ. تجلسُ القرفصاء، وهي تحتضنُ رأسَها بين كفيهـــا،

ليخرجَ صوتُها مختنقًا ببكاءٍ حارٍ يُزيحُ قناعَها مرةً واحدةً، مخترقًــا دهشــةَ الحضور وأصواتَ الموسيقى ورائحةَ اللحم الأبيض الرخيص.

ما تزالُ مسامعُنا مسكونةً، بذلك الحنينِ الجارفِ لحفيفِ السعف والبردي.
لكلِّ صوتٍ إنساني،يحملُ تلك اللكنة الدافئةَ بحزنها.
انظري لسخرية الأقدار!
(ها أنت تضعين يدك بيدهم، ومازال لحمُ العامرية عالقًا تحت أظـــافرهم اللماعة).
يرتفعُ هذيانُها أمام دهشته وصمته : (لست مسؤولةً عن بكائكم. عـــن كلِّ ما أصابهم. أنا فقط أُحاول أنْ أعيش بسلامٍ).
تتطلعُ إلى عيونهم، الواحد تلو الآخر. تصرخ من جديد: (يكفي بقائي في مركبكم الغرقى! لم يكنْ لينفعَ تمسكي بشعاراتِ الآباء والأجداد. لم يعـــدْ مجديًا).

تظل أعينهم معلقة على عينيها.. تنتحب كمن يردد تعويذته المنجاة، تنظر إلى سليم، ها هو يمد يده ليصافح الحوت؛ سيبتلعه هو الآخر.. يمتلأ الجـــوَّ ببيادر من قشٍ تهبُّ على وجوه الحاضرين (كلا يا سليم لا تصـــافحه!). تحاولُ سحبه من فم الحوت (لا تتوغلْ في الغرقِ أكثر. لا تصافحه. مـــا تزال وجوهُهم ملطخةً بدمِ العامرية).

تعلو أصواتُ الدهشة. كأنَّ كارثةً حلّت بكونهم. يستمرُّ تشبثُها بسليمٍ كسجينٍ يحفر دربه نحو الشمس. عيناها تتوسلانه بدموعها :

(كفانا مضيعةً للوقتِ. كفانا تشاغلاً عن تعاستنا بجمع الأموال)

تتحرّك شفتاه بحروفٍ متقطعةٍ ثقيلة (مجــ..نو.نة !!).

تفرح لأنها استعادتْ قدرتها على البكاء بصوتٍ عالٍ ودموعٍ مرئيةٍ.

ها هي الأشياء تعودُ للالتئام من جديدٍ. كلُّ شيءٍ يُغْمرُ بالضوء، وهي تُعرّي جُرحَها أمام الشمس، وترمي بكلِّ الضمادات البيضاء التي خبأتْه بها منذ زمن بعيد (عبثًا حاولنا زرعَ جذورِنا في هذه الأرض البور).

يجرُّها الخدم إلى الخارجِ بأمرٍ منه، بينما تظلُّ عيناها معلقتان عليه. يتسللُ إليها خطُّ الضوء، وهي ترى الزجاجتين اللتين خبّأتا عينيه خلفهما قد تكسرتا، أو أوشكتا على ذلك.

تحت زخّاتِ المطر ورياحِ الوحشة وجدت نفسَها، و لم تستطعْ عتمةَ السيارةِ، حيث وجدت جسدَها مُتكومًا. ظلام الدّرب الذي ينتظرُها منعَها من رؤية نوره المنبعثِ من خلفِ دهاليزِ الظلامِ، في بحارِ ظلمتِها السحيقةِ، لأعوامٍ بدت وكأنها دهورٌ، سحقتْ كلَّ ما هو جميل إلا ذلك القدر المختلط بكريات الدم، وهو يبثُّ حنينًا طاغيًا في جدارِ الغربةِ الصّلد.



صرخة

تنظرُ إلى الأضواء المنتصبةِ فوق رأسها. تخافها. ترهبها. تشعر أنَّها ستطبقُ على حواسها، لتسرقَ ملامحَها وترحلَ. يُعاودُها الموت. تصرخ. تتلوى. تتشبث بهم. بمَن لا يملكون أنْ يحملوا عنها ذرةً من ألمها. تبحث بين الوجوه عن وجه حبيبٍ مألوفٍ. عن تعويذتها المنجاة، عن ملاكها الذي رافقها منذ أنْ فتحت عينيها على الوجودِ.

يعاودُها الألم. تصرخ، تنادي وجهها، صوتُها الساكن في مساماتها. تستنجد بحنانِ كفيها المطبوعة على كلِّ شبر من جسدها.
(هذا ليس مخاضًا جسديًا، بل مخاضًا روحيًا أمام هذا الغياب الذي لا يقربُه النسيان. كيف رحلتِ؟ لا يمكنك خذلي الآن. إنهم يكذبون. الأطباء، سماعة الهاتف، الفحوصات. هذه مؤامرة. ما زال صدى ضحكتك مستوطنًا أذني. مازلتِ تُعدّين مالذَّ وطاب للمنتظرِ الآتي).
يُعاودُها الألم. يشتدُ. تكادُ تفقدُ الوعي. ترى أشباه وجوهٍ. تتناهى إلى مسامعها أصواتُهم. لا تسمعُ شيئًا سوى صوتِها. تلك التي يُشبه وجهها وجه الوطن.

تلمح قلقًا في وجوه المحيطين بها. يتحركون بسرعة. يغرزون في لحم يديها شيئًا؛ تكاد لا تشعرُ بألمه. يخنقونها بكمامةِ أوكسجين، ينقلونها إلى غرفةٍ أخرى. تغادرها الوجوه والأصوات، لكنَّها تظلُّ مسكونةً بذلك الألم الذي يزداد شيئًا، فشيئًا.

يصل الألم ذروته. تضيع صرختَها في فضاء غرفةٍ عاريةِ الصدى. تنادي وجهها الذي استوطنَ الغمامَ. تُطوّح بكمامةِ الأوكسجين، وتصرخُ. يمسكونها. عبثًا يحاولون تهدأتها. عبثًا يحاولون محوَ الصورة الشاخصة أمام عينيها.

يشتدُّ الألم، يعلو صراخُها. يعاودها الوجه الحميم، ليتشكلَ أمام عينيها. يبتسم بحنوٍ. تمدُّ يدها لتمسكَه، لتتمسّحَ به كقطةٍ تائهةٍ وحيدةٍ. تتخبّط يدها بالسراب، لكن الوجه يظلُّ ضاحكًا، باسمًا (إنهم يكذبون، لم ترحلي. مازال دفء يدك مطبوعًا على راحتي) يبلغُ الألم أقصاه. تصرخ. تبكي. تتحدث مع الوجه الباسم أمام عينيها. يتسرب إليها بصيص أمل كلّما عاودها الألم.

(لدي فرصة للرحيل. سأخلف القادم وحدَه وألحق بكِ. سيزفونني بثوبٍ أبيضَ. ويغرسوني في الأرض، لتنبثق روحي، ونحلق معًا في الغمام)

يشتدّ الألم. تشعر أنَّ جسدها يضيق. يُوشك أن يتناثرَ قطعةً، قطعة. تتذكّر كيف أنهم قطعوا عنها الأسلاك، ورفعوا كمامة الأوكسجين. تتذكّر كيف

أنَّ عينيها ظلتا شاخصتين نحو السماء تحدقان في الفراغ. ظلّتا خاليتين مـــن أي معنى، وكيف أنهم أهالوا عليها التراب. الكثير من التراب على وجهها. يتناثرُ على شعرها وجبينها.

تصرخُ من جديدٍ،وهي تغرقُ في دوامةِ الألم (لم ترحليْ) ها هم يمـــدون أيديهم، ليستخرجوا منها شيئًا ما، نبضًا ما.

تتناغمُ صرختَها مع صرخة طفلٍ شقّت عنان الفضاء. تتكثف الأصـــوات، لتصبحَ صوتًا واحدًا يتلاشى.

لا تسمعُ في أذنها سوى تلك الصرخةِ الخارجةِ من أحشائها.

تنظر إلى الفضاءِ من جديدٍ إلى الصورة المرتسمة أمام عينيها،

لا شيءَ.

لا شيءَ سوى تلك الصرخة المنبثقة من أحشائِها، وقد استحوذت علـــى الفضاءِ كلِّه.



فيروس سردي

يتناولُ قهوته. يرتشف منها رشفةً واحدة ويُعيد الفنجان إلى مكانِه. يُغمض عينيه، وهو يفكرُ في الأستاذ رجا.

(ترى كيف ستكون النهاية؟! لتكن ما تكون، لكني لن أدعها تَقلُّ مثاليةً عن نهايةِ بثينةٍ. لنقلْ يا أستاذ رجا إنَّك بعد أنْ كنت لا تطاقُ من قبل طلبتك لكثرةِ نصائحك وانتقاداتك ورفضك لقناعاتهم، التي تقولُ عنها دائمًا أن مكانَها ليست في عقولِهم، بل في سلة المهملات. سأجعل منك مثالاً لهم. أجل. أتصور بأنها نهايةٌ منصفةٌ لتلك القيم النبيلة، والأفكار النيرة التي أورثنا إياها أولئك العظام ممن سبقونا الخوض في تجارب الحياة. وستكون النهاية أروع إذ جعلتهم يؤمنون بآرائك كلها)

يتركُ المنضدة بعد أن يبحثَ عن علبةِ سجائره بين أكداس الورق، يضعها في جيبِ معطفه المطري، ويمضي إلى الخارج بلا هدف.

تلتقط قدماه شارعًا طويلاً مرَّ به من قبل. يحاول أن يتذكره. إنَّه الشارع المؤدي إلى بيوتِ أحد أصدقائه القدامى.

(مضى وقتٌ طويلٌ على مروري في هذا الشارع، وكان هنا – إن لم تَخُنْ الذاكرة– موقف للباص).

يجلسُ في مكانه القديم. ينتظرُ الباص. يرفعُ ياقة قميصه، ليغطي بها نصـــف وجهه، ويهم بإشعال لفافته معلنًا انتظاره لباص يعلمُ جيدًا، بأنَّه لن يجيءَ.
يبحثُ عن ولاعته، فلا يجد لها أثرًا. ربما نسيها على تلك السفوح البيضاء، حيث بثينة والأستاذ رجا والآخرين.
يُعيدُ لفافته إلى مكانها، وهو يردد بما يُشبه القســـمَ (ســـأنهيك قبـــل أن تستنفذي ماتبقى من هذه الأعصاب المهترئة. خمسة عشرعامًا، وأنا أُدخّن. لم أنس خلالها ولاعتي الزرقاء يومًا واحدًا. أُقسمُ إنني سأُنهيك اليوم).

يظلُّ جالسًا مستسلمًا، لغضبه الصامت، ينتابُه حقدٌ غامضٌ، وهو يتخيل بثينةَ تُمسكُ بالولاعة وتلهو بها، وتتغامزُ مع بقية الطلبة عليه، وكأنَّ لسان حالها يقول: انظروا، ياله من أبلهٍ مسكينٍ، سنقضي عليه قبـــل أنْ يقـــرر نهايتنا.
يجيبها أحدهم: ياله من مغرور! من هو، ليقرر مصيرنا ؟!.
يتواطىء الأستاذ رجا لأولِ مرةٍ معهم مضيفًا: من قال إننا حصيلةُ خيالـــه الهرمِ؟
لم لا نكون أجسادًا من لحم ودم. قررت لوحدِها أن تمارسَ لعبة الاختفاء بين السطور؟.

فجأةً تمتدُّ يد امرأةٍ نحوه، وهي تحمل ولاعةً في يدها : اخرجْ لفافتَـــك ولا تدعني انتظر.

يرفع رأسَه وهو ينظر إليها بتفحصٍ وريبةٍ. تتحول نظراتُه إلى احتقارٍ، فهي لا تستطيع إكمال كلمة ما لم تمضغ علكتها المفضلة ثلاث مـــرات علـــى الأقل. يردد مع نفسه:

(أعوذ بالله)، ويصمت.

– هيا اخرج لفافتك. لست مستعدة لتضييع وقتي مع أمثالك يا أبا الهول.

يظلُّ ساكتًا مفضلاً اختزان كلِّ المحاضرات الأخلاقية، الـــتي حفظهـــا في حياتِه، على أنْ يلقيَها أمام هذه اللعوب القادمة إليه من مجاهيلَ الليل.

تُقرّب الولاعة منه، ياللمصادفة! إنها تُشبه ولاعتَه الزرقاء إلى حدٍ كبيرٍ.

(أيمكنُ أن تكون هي؟ لا.لا. كمْ أبدو سخيفًا بهذا التفكير! إنها الروايـــة اللعينة. لقد استهلكت أعصابي أكثر مما ينبغي. لا بدَ أن أجهـــز عليـــك اليوم).

تغادرُ مسرعةً بسيارةِ أجرةٍ عابرةٍ تمهلت لتخطفَها.

(ماهذا ؟! إنَّه شريطٌ أسودُ سقط من شعرها).

يتأملُ الشريط بإمعان.

(يا إلهي، إنَّه الشريطُ نفسَه، شريط بثينة. أمعقول هـــذا الـــذي يجـــري؟! الولاعة الزرقاء، الشريط الأسود، بالتأكيد إذا واصلت بـــالتفكير هكـــذا، فسأنهي روايتي في مستشفى المجانين).

يعود أدراجه لاهثًا. ما إن يصل مكتبه، حتى يخلعَ المعطف دون إن يجلسَ كما اعتادَ أن يفعلَ. يتأمل فوضى الورق تحت يدِه، ويفكر بإنقاذ ما يمكن إنقاذه من مصيرِ أبطاله المتمردين. يُمسك القلمَ،كمن يتأهّب لشنِّ حرب عليهم.

يبدأُ بــ(بثينة) وقبل أن يخطَّ الحرف الأول. تقفز إلى ذهنه صورة تلك المرأة اللعوب، وتلك النظرة الغريبة التي رمته بها. يريد أنْ يمحوها من ذاكرته. أنْ ينساها تماما.

يعود إلى بثينة (ماذا؟! ماهذا؟! إنها النظرة ذاتها)

يصرخ (ماذا حدث لك؟!)

تخلع بثينة نظارتَها الطبية، وترمي بشريطها الأسود إلى الفضاء، وهي تضحك بتخابثٍ لذيذ (ماذا بك أيها المسكين؟ أنت بالتأكيد تحتاجُ إلى لفافةٍ أخرى، لكنَّك على ما يبدو نسيت ولاعتك هناك حيث كنت تمارس انتظارك العقيم).

وباضطراب يحاولُ إعادة النظارة الطبية إليها، ويمسح عن وجهها كلَّ تلك المساحيق الملونة التي لا يحبُّها. ضحكتها العالية تمنعه من المواصلة. لا بأسَ. سيعود إلى إصلاحها بعد أن يطمئن على الأستاذ رجا.

(إنه حتمًا يتصادم مع طلبته. هو الوحيد الذي سيثلجُ صدري، ها هو يجلس في نادي الطلبة على غير عادته. يجلس محاطًا بلفيفٍ من الطلبة الذين تحلقوا حوله).

يُمعنُ النظر جيدًا في ملامحه (ما هذا؟! إنَّه يتحدثُ بلغةٍ أخرى جديدةٍ لا تناسبه مطلقًا. إنَّه يحدثُهم عن أحلامِهِ الضائعةِ، هفواته، لحظات سموه، المرأة التي أحبَّ. خالعًا ذلك القناع الحديدي الأكاديمي، الذي اعتاد الاختباء خلفه. هم أيضًا يحدثونه عن أمزجتهم وأحزانهم وأحلامهم بلا ترددٍ أو وجلٍ)

(فظيعٌ. الأستاذ رجا. بقية الطلبة) يشعر بضيقٍ خفي، وهو يفتح الأزرار الثلاثة الأولى من قميصه. يزداد شعوره بالضيق. يخرج لفافةً جديدةً، ويبحث عن ولاعتهِ الزرقاء فلا يجدُها. ينهض من مقعده، وهو يحاول أنْ يتذكّرَ أين وضعها. يبحث. يبحث.

لكنَّه عبثًا يُحاول التركيزَ. أمام ضحكة بثينة المنبعثة في أرجاء الغرفة، وهي تختلط بذلك العرق البارد، الذي تدفق فجأةً من جبينه، وساعده على إغماضة ذهبت به بعيدًا.



تفاصيلُ زائدةٌ عن الحبِّ

لا تكفُّ عن تأملِ وجهه من كل زواياه. تسلط الضوءَ على ملامحه الـــتي تذكّرُها بملامحِ الآلهة اليونانية، انخفاضاته، ارتفاعاته، زواياه الحادة، الأنف النافر، وبصمات الأعوام الثلاثين المحفورة عليه. تنظر إليه كمن يتطلـــع إلى كرةٍ سحريةٍ صادمةِ الألوان، على حينٍ يستمرُ بحديثه عن رئيسهِ في العمل مفتونًا بإعجابه به وبعبقريته، وكيف أنَّه اختاره للعمل معه في فرع الشركة الآخر في (جنيف). الخبر الذي كانت تنتظره بلهفة لا حدودَ لها. تتظـــاهر بالإنصات إليه، دون أن تعي ما يقوله، وفي أعماقها يظلُّ صـــوتُها يهتـــف باسمه مأخوذًا بسحر لحظةٍ من الفقد والغياب، تداهمُها برعونهٍ ووحشية.

يوم تزوجته، ذلك الزوج الكرنفالي المحسود، لم تكن تحبـــه، ولم تكـــن تستوعب فكرة أنْ تدعَه لأخرى غيرها، أما اليوم، فها هو يحيا في أعماقها دون إرادها، ينمو ويكبر بسرعة شيطانية بين ثنايا فكرها وتفاصيلها. أحبّته لدرجة أنها قررت أن تهديه هديةً يحلمُ بها كلُّ الرجال على مـــر العصـــر، امرأةً!، تليق بحجم حبّها له.. تهديه امرأةً أفكارُها مختلفةٌ. هي امـــرأةٌ مـــن طرازٍ آخر، تتقن جيداً فن ارتداء أقنعة ذوات الـــدم الأزرق في الحفـــلات

والسهرات الفضولية. امرأة لا يغمى عليها أمام بائع الآيـــس كـــريم، ولا تشعرُ بالتقيؤ أمام الخراف المشوية.

– ولكن قولي لي يا حبيبتي، لماذا لم تحضر صديقتك التي تريد أن تخطـــبَ لأخيها؟ إني أعجب من هذه الخطبة الغريبة،أما كان الأجدر بـــالعريس أنْ يأتيَ بنفسه أو أمه أو إحدى أخواته على الأقل؟! كونك صديقة أختـــه لا يكفي، فهذه هي الأصول، ويجب ألا نتجاهلَها مهما طال الزمن وتغـــيرت الأشياء، فهذا جزءٌ من تقاليدنا كما تعلمين.
صوتٌ ما يتردد صداه في أعماقها (التقاليد، عانس، فاتتها كل القطارات).

– لماذا تصمتين؟! لا يوجدُ أمامنا بائع الآيس كريم!
تضحك من أعماق قلبها، وهي تشعر برغبةٍ كبيرةٍ في البكاء والارتماء على صدره.
البيتُ المنشودُ يلوح لها من بعيد، كأنَّه قبرٌ شامخٌ، يتحدّى الزمن بوقاحـــةٍ واستهتارٍ.
– سأنزل هنا
قبل أن تفتح الباب تلتفت إليه، وهي تهمس في مسامعه.
– لا تقلقْ، سوف أعود.
تبتسم خضرة عينيه لها، وتلك الطمأنينة التي تشعُّ في نظراته الحنون تشعرُها بالضيق. تغلق الباب،كمن يغلق جرحًا يُوشكُ أن ينزف.

تسير في ذلك الشارع الصغير الممتد بين ظلال اليوكالبتوس. تشعر وقـــع خطواتِها كأنَّها تعزف لحنًا جنائزيًا..
(لا ! من قال إني حزينةٌ ! وإني أوشك على البكاء؟!)

تطرق البابَ طرقتين خفيفتين، كأنها لا تريدُ أنْ يسمعَها أحدٌ. يُفتَحُ الباب بسرعة. ترفع وجهها. إنها هي. تلك التي اختارتها في لحظة حـــبٍ مجنونـــةٍ لتقاسمَها كلَّ شيءٍ، وهي على أُهبَة الاستعداد.
تجلسُ في المكان الذي تعودتْ الجلوسَ فيه عند كل زيارة، لكنها تجده هذه المرة خانقًا ضيقًا. الزهورُ تملأ كلَّ الزوايا كأنَّها تحاول إخفاء بشاعةٍ مـــا! هي ومنزلها يرتديان أكثر من قناعٍ. هذا ما دأبت جدتي على تعليمي إياه. عندما يأتي أهل العريسِ ارتدي أحلى ما عندك، لا تتحدثي كثيرًا لئلا تظهرَ مخالبُك، لا تضحكي لئلا يكبرَ فمُك. إنَّها المسرحية ذاتها. كلُّ شئ يجـــب أن يبدوَ لامعًا براقًا يخطفُ الأبصارَ. إنَّها أكثر لعب المصير أهميةً وخطورةً. تشرب العصيرَ، وهي تمسحُ العرق اللاذع المتصـــبب مـــن وجهها، كأنَّـــه خطوطٌ من نارٍ، في يومٍ ربيعي لا يصلحُ للتعرق.

تجلس العروسُ، وهي تتظاهرُ بوداعةٍ. وتتقصّدُ عفويةً غير مألوفـــةً. ثّمّـــة صفاءٍ يشعُّ من عينيها، لم يستطعْ أن يخفي خلفه وقاحتَها المعهودة.
(أتذكّرُ عينيك يا حبيبتي، البريئتين كعيني طفل كذبت عليه أمه وتركتـــه يتسلى بـــ"سأعود!").

يا إلهي ما الذي دهاني؟! لما هذه الرغبة الكبيرة في النحيب؟!
أليس هذا ما كنت أتمناه؟! أن أُثبت لكِ أنّي لستُ كالأخريات عندما أحب، إني قادرةٌ على تنفيذ أفكاري ومبادئي ما دمت مؤمنةً بها. آهٍ ما أثقل هذه الكلمات! أُحسّها كأسراب جراد يتطاير في أرجاء الغرفة التي تكاد تخنقني بعفونتها.
(الجرادُ، كمْ أكره الجراد! كمْ أكره هذا المكان. رغبتي في الهروب تكادُ تمزقُني، لكني لن أهربَ أبدًا !)

تبدأُ بالحديث مع عروس زوجها. تنظرُ إليها نظرةَ امرأةٍ لامرأةٍ، تتأملها، تُمْعن النظر في قامتِها الفارعة ورشاقتها،التي تتراقصُ أمام جسدها الذي يتأهب لبدانةٍ زاحفةٍ. تتخيلها وهي ترتدي بدلةَ عرسِها وتجلس في غرفتها. تحتل مكانَها بين ذراعيه. تلعب على حشائش صدره.
(تُثير قرفي منها، مني، من كلِّ شيءٍ. أُريد أنْ أبكيَ، لما لا أبكي؟! أنْ أمزّق كل هذه البشاعة وأبكي! أنْ أخرس هذه الأغنية الحزينة).

تُلقي بقدح العصير على وجهها. تركضُ نحو الباب الذي دخلت منه، وتهربُ. تجهشُ ببكاءٍ حارٍ. تصلُ السيارةَ لاهثةً. تفتحُ الباب بسرعة جنونيةٍ. تجده بوداعة وبراءة عينيه ينتظرُها. تحتضنه بملئ قلبها وعينيها وشهيقها. تقبل رأسه، ودموعها تغسل عينيه الحائرتين. هو يحاولُ أنْ يجدَ

تفسيرًا لما يحدث. تطلب منه أنْ يمضيا بسرعةٍ ليشتريا ما يلزمهما للسفر إلى جنيف، أو حتى إلى الربع الخالي.!

تسرع هما سيارته المبللة بالانتظار، وهو يردد بصوتٍ خافتٍ تستطيعُ سماعه، وهي تضع رأسها مغمضة العينين على صدره المتوتر: (مجنونة).

السماءُ التي لن تكون عابئةً بما يجري؛ تكشف عن رغبةٍ ساحقةٍ في عمل شيءٍ يُدمّر خُطى ما كادَ أن يقعَ. الأمطارُ الضّاجة بالبهجة والشراسة تقصف زجاجَ السيارة كأنَّها مناقيرُ عشراتِ العصافيرِ، إلا أنَّ الدفءَ الذي أحسَّت به أمًّا متقدةً بالرحمةِ، يُدثر دمها وهو يَخطُّ في دفتر مذكراتها المهمل المغلف بالتعب والتراب تفاصيلَ أخرى زائدةً عن الحبِّ.



شرفةٌ لا يطالُها الضوءُ

يتكوّرُ المساءُ عند شرفتِها معلنًا اقتراب تلك اللحظـات المرتقبـة، الـتي استوطنتْ أحلامَها وكيالها لليالٍ طويلةٍ. ها هي تمارسُ طقوسها الحميمـةَ. كلَّ يومٍ تراه فيه بمثابةِ عرسٍ لها. ترتدي أبهى ما احتوته خزانتها. تغسـلُ بالعطر الذي يعشقُ، ودون هذا كله يكفيه أن يرى ذلك الوهج الملتمع في عينيها، لكي يَعِي البهجة التي تستوطنُ روحها كلّما طرق بخطواته جدران انتظارها.

الوهج يُغطّي كلَّ شيءٍ، بيتُها الصغير، حديقتُها العابقة بزهور الكاردينيا، البيوت المجاورة، الشوارع، الفنادق الأنيقة، يغطي بغداد كلَّها. هـا هـو معجزتُها الأخيرة في زمن اللامعجزات. انتهت من لذّة انتظارها له. يبتلعها الثقب في جدار فضائه المفعم بالغبطة والدفء.

قبل أن يبتلعها الثقب، كانت هناك الكثير من الكلمات تعـوم في بحـيرة ذاكرتها. أقسمت؛ وكما في كل مرةٍ؛ أن تقولَها لـه، لكـنْ الآن! عبثًـا تشحن ذاكرتها المتلاشية مع دخان لفافته الهارب من نافذة السيارة. ينظـر إليها بتلك العينين الصغيرتين وصوته المتعب يسألها:

- كيف حالك؟

لا تدري ما الذي يجب أنْ تقولَه.. كيف حالها؟! لما يسألها؟ ألم ير ذلك الوهج يشعُّ من كل مسامات جسدها الفضي؟!

ألم يشعر بحرارة كفها الصغير، وهي تقبضُ على كفه الكبيرة،كأنَّها تقبضُ على حلمِ حياتها؟

ترتبكُ، لفرط السعادة أو الحب. تحاول القبض على الحروف الهاربة (لا شيء. إني مشتاقةٌ إليكَ).

تصمت فجأةً، ثُمَّ تعود تردد بصوت خافت (مشتاقةٌ جدًا). يُخيّل إليها أنَّ العالم يغتسلُ بمطرٍ أزرق، يغسلُ كلَّ شيءٍ، عيوب العالم، القلوب الحاقدة، الآثام. ويداعب سيارته الحمراء ذاتها التي كانت تسير بهما على ذلك الجسر الملتوي، وكأنّه يشدُّها إلى صدره بقوةٍ غير آبهٍ للمقود الذي يتحرك كيفما يشاء، وكما في الأحلام. ظلت السيارة تدور، وتدور، وظل هو يشدُّها إلى الحنايا السمر، من دون الاكتراث بصراخها وخوفها من الاصطدام.

لا تدري إن كان وجهُها يتصبب عرقًا، أم أنَّها قطرات المطر التموزي المعجزة، قد تسللت إليها عبر النافذة. يفاجئها صوتُه الجافُ المنهكُ وهو يقولُ لها:

(لقد أتعبتني عطلات السيارة الكثيرة. أكاد أشرف على الإفلاس).

– اغفر لها، فهي سيارتي الأثيرة على أية حال. إنَّ لنـــا فيهـــا ذكريـــاتٍ موسومةً بالقلب والذاكرة.

تنبعث ضحكتُه من أرجاء السيارة، حتى تكاد تتخيل أنَّ لـــه أكثـــرَ مـــن حنجرةٍ. لا تفهمُ سر ضحكه المفاجئ. تصمت. تنطوي على نفسها، بينما يستمرُ هو في الضحك تارة، وفي النظر إليها تارةً أخرى. همس مع نفسها بما يُشبه الإقناع (لا بأس إن أضحكته، فإضحاكه في يومٍ من الأيام كـــان غايتي). تقبضُ على يده بشدة وهمس:

–افتقدتك في الأيام الماضية. خلتك للحظاتٍ لن تعود، وإنني فقدتك للأبد، وقد تفاقم هذا الإحساس بعد الكابوس الذي بدأ يراودني أثناء غيابك.
تصمتُ قليلاً، ثُمَّ تعود تسترسل في الحديث كعرافةٍ تكشفُ عـــن مصـــيرٍ مفزعٍ:
– كنتَ بعيدًا عني. لحقتُ بكَ. ناديتُكَ. صرخت باسمكَ. استدار وجهُك إليّ وبدا لي أنّكَ لا تسمعُ ندائي، ولا تعي حتى لغتي. كدت أُجنُّ بســـبب هذا الكابوس، حتى أنني أوشكت على تصديق نبوءته. عندما طال غيابُك. تصوّرْ! إنني حلمتُ به البارحة أيضا!

يجيبُها بابتسامةٍ خاطفةٍ مغلفةٍ بالرضى وهو يقول لها:
– لقد ذكرتني بمأساة البارحة!

- ماذا حدث ؟

- لقد ساءت صحة أمي كثيرًا بسبب مشاكل أخي الذي يبعثرُ أمواله على الخمر، وأخي الآخر الذي عجز الأطباء عن إيجاد علاج لابنه المريض، أما أختي!... ينظر إليها. يجد عينيها شاردتين، كأنها تستمعُ لحديثٍ آخرَ.

- لماذا تصمتين؟!

- لا شيءَ، وماذا عن أخيك الآخر؟

- لقد تشاجرتُ البارحة معه. المشكلة إنّي أحبُّه ولا أقوى على رؤيته وهو يبعثرُ أمواله هكذا.

- يا إلهي!

- ماذا؟!

- انظرْ إلى بغداد!

- إنَّه انقطاع التيار الكهربائي. لا تشْغَلي بالك.

(كنتِ في أعماقي شعلة أضواءٍ ملونةٍ كأضواء العيد والفرح والطفولـــة. كان الوهجُ لا التيارُ يضيئُك. سأذكّره بذلك اللقاء الحار على مـــتن هـــذا الجسر، قليل من الذكريات ينعش ذاكرة الحب)

- هل تذكر هذا الجسر؟

- هذا الجسر؟ وكيف أنساه؟!. الحمد لله هذه هي الصيدلية لا أريـــد أنْ أنسى الدواء لأمي.

الشارع يَغْرَق في العتمة. المصابيح الذابلة تصطف على الأرصفة كالأشباح البليدة. الحرُّ رهيبٌ. تختنق، وتشعر أنَّ هناك غمائم دخان تسبحُ في الجـــوِّ. تحاول خنقها. تفتح ياقة ثوبها الزهري مطيحة بأناقته.

يخيل إليها أنّها هدأتْ قليلاً. تَعْبَث يدُها بأزرار المذياع القريب منها. يشدو صوتٌ عذبٌ يتغنى بـــ(من غير ليه) تبتسمُ مع نفسها وهي تردد كمَـــنْ وجد حبلاً للنجاةِ (أشعر أنّ الحظ يقف بجانبي للمرة الأولى).

– إنَّها الأغنية التي تمنيت أنْ أُسمعَك إياها.

يُشعل لفافةَ تبغ بلا مبالاة. ينفث الدخان، بينما تبحث عيناه عـــن محطـــة الوقود. تظلُّ هي تعبثُ بأزرار المذياع، وهي تدندن الأغنية الأثيرة. يعلـــو صوتُ الأغنية. ترفع رأسها، لترى وقع كلماتها عليه،وهي هائمة في رسالة الحب المغناة. لا شيءَ سوى عينين شاردتين في بحثٍ مستميتٍ عن محطـــةِ الوقودِ، وفَمٌ يدندن الأغنية بحيادٍ. لا تدري لماذا تذكرت فجأة ذلك الرجل الإنكليزي، الذي كان يقبّل حبيبته وهو يقرأ الجريدة.

– إنَّها الأغنية التي حدثتك عنها.

يُدير رأسه نحوها. ينظر إليها. يصرخ.

– (إنَّه بلدٌ نفْطِي، وينبغي أنْ تملأ محطات الوقود كلَّ مكانٍ)

تشعر أنَّ رائحة الوقود تنبعث من فمه. يصرخ مرة أخرى :

– (اطفئي المذياع. لا أستطيعُ التركيز في البحث عن المحطة اللعينة)

كان الليل طويلاً جدًا، غارقًا في العتمة. لم تجد أمامها مفرًا من الانطــواء على كيانِها الصغير. إنّه كيانُها الزاخرُ بمشاعر الخيبة والفقدان. كان صوت عبد الوهاب للمرة الأولى يبدو حزينًا جدًا، ووحيدًا جدًا، وهو يردد بــأ لمٍ حقيقي:

(خايف طيور الحب تهجر عشها، وترحل بعيد.

خايف على بحر الدفا، في ليلة شتا يصبح جليد.)

جليدٌ وصوت منقوع في السخرية واللامبالاة، هما كل ما تملك في ليلتــها الموحشة هذه.

– (انظري يا حبيبتي، لقد عاد التيار الكهربائي، هاهي الأضــواء الملونــة تشتعل من جديد).

لكنَّها في الأعماق ازدادتْ غرقًا في الظلمة. كمْ تشتهي لو أنَّهــا تتــذكّر البكاء. تمتنع عن كَبْحِ دموعها للحظات، ففي غمرة هذا الظلام لن يتمكن أحدٌ من رؤية دمعها.

أُطفأتْ الأنوار، وانحبس صوت عبد الوهاب أمام محطة الوقود الشاخصــة نحوهما، الساخرة منهما بضحكة.



ثلاثُ شهقات

لم يكنْ الصباح قد كشف عن وجهه بعد، حين استيقظتْ أم حسين لتوقظ ابنها استعدادًا لموعده الصباحي في الذهاب لمحطة الوقود، ليملأ حاويته الصغيرة بالوقود. سيقف بعد انتهاء مشواره الصباحي؛ إذا تمَّ بنجاح؛ في بداية الشارع العام ملوحًا بحاويته الصفراء للسيارات العابرة، على أمل بيعه وشراء الحليب لشقيقه الصغير بثمنه، بعد أنْ انقطع الحليب عن الحصة التموينية منذ أشهر مع الكثير من المواد الغذائية الأخرى.

أوصته أمه بشراء بقية المواد الغذائية من جارهم، لأنه يضع الله نصب عينيه وهو يكيل بالميزان، ويفتح دكانه للرائح والقادم، حتى استدلَّ المهجّرون الطريق إليه، وراحوا يشترون منه ما ينقصهم، بعد أنْ جاءوا يلتحفون عراءهم، دون أن يطالبهم بالثمن، أو يحدد لهم موعدًا للتسديد، أو حتى يُدرج أسماءهم في سجلِ الديون؛ كما يفعل الآخرون.

رائحة الفجر، وهي تكشف وجه الشمس الغائب تحت ساعات حظر التجوال تطغى على الغازات المنبعثة من سيارات الحمل، التي يتزاحم المتاع

المحمل فوق رأسها، مع باقات الحطب التي أصبحت تجارة أخرى تزهو بها الشوارع.

مرّت الساعتان الأوليان للصباح بسرعة، بعد أن انكفأ الصبي قربَ السياج المطل على محطةِ الوقود التي لم تكنْ قد فتحت أبوابها بعد لاستقبال السيارات المتزاحمة، إلا بعد أن تمطّت الشمس في فراش نومها ونعاسها، وانتهت من تناول إفطارها فوق المتزاحمين على أبواب الانتظار.

تدافع الصبي مع أقرانه الذين يحملون الحاويات الصغيرة، حتى تمكن الشرطي من معرفته وتمييزه، فأشار له بالتقدم دون سواه. كانت السماء قد انفرجت عن فرحة عظيمة، وهي ترقب قلب الصبي وشهقته، التي كادت أن تحطّم قفصه الصدري، ليتقافز قلبه فرحًا وبهجةً، وهو يرْقبُ امتلاء الحاوية بالوقود، بينما تنتظر عشرات السيارات دورها منذ ليلة البارحة.

أخذ الحاوية، وراح يهرول نحو الشارع العام متجاوزًا حسد الناظرين والمنتظرين، ليبيعها ويتصرف بثمنها حسبما اتفق مع والدته التي تنتظر بشارته منذ ليلتين.

قبل ان يصل الشارع لفت نظره تجمع غير اعتيادي للسيارات عند بيت وكيل إأسطوانات الغاز..فركض كاتمًا شهقته الثانية، متأملاً وصول الغاز بعد انقطاع أسابيع... وكانت الشهقة أسرع من قدميه الراكضتين بتثاقل تحت وطأة حاوية الوقود، وهو يرى أسطوانات الغاز تصطفُّ في الفناء الخارجي لمنزلِ الوكيل، الذي بادره بدحرجة الأسطوانة تحت قدميه:

- جيد إنَّك جئت بهذه السرعة. هذه حصتكم المتأخرة من الغاز.

- لكنَّي مررت صدفةً ولا أحملُ معي نقودًا، قالها،وهو يُوقف تدحرج الأسطوانة بقدميه.

- لا يهمُ. في وقتٍ لاحقٍ، بعد أنْ أنتهي من الزحام.

يرمق حاوية الوقود، ويقول بإعجاب: هذا يوم سعدك يا حسين وقود وغاز. لا ينقصك إلا العروس.

يُدحرج الصبي ضحكته، التي تُسابق أسطوانة الغاز وهي تستدل طريقها المتعرج نحو المنزل الذي ينتظره عند المنعطف القريب. يتوقف قليلاً، ليحكم إغلاق فُوّهة الحاوية، لئلا يتسربَ منها الوقود. ترتسم على وجهه ابتسامةٌ عريضةٌ، وهو يتخيل كيف أنَّ أخوته سيستقبلون الأسطوانة والحاوية بالتهليل والتصفيق.

يدخل الشارع المؤدي إلى بيتهم. ثَمّة ضجيج يُزاحم صوت الأسطوانة، وهي تتدحرج على الأرض. يرفع قدميه عنها، لتتدحرج وحدَها فوق الشارع المحفور بعجلات الدبابات التي تركتْ آثارها البليغة فوق جلده.

يدخل البيت، لتسبقه شهقته الثالثة، وهو يرى أمه وأخوته يجمعون الأغراض بسرعةٍ تحت فم الرشاش المتطلع نحو خوفهم.

تسقط حاوية الوقود من يده

بينما تبقى أسطوانة الغاز تتدحرج، فوق شهقاته الثلاث.



أحلام ناتئة

(قصة مشتركة مع القاص جمال نوري)

(كنتَ تظنَّ أنَّ مكانك في السماء لا على الأرض، وأنَّك طائرٌ يطير بـــلا أجنحةٍ. ونسيت أنَّ الأرض قرارك الأول والأخير. أنَّ أحلامك لم تكـــنْ لتحلّق أبعد من مدى أصابعك. هنيئًا لك كل هذا الغبار).

هذا ما قاله له الطائر، حين كان يأخذ قيلولته في منتصف الليل. بعـــد أنْ ارتدت الساعاتُ رداءًا واحدًا وصوتًا واحدًا، اتقنتْ رتابتـــه العقـــارب، وتناغمت معه الأنفاس، وهي تتنشق ما تزفره كل ليلةٍ.

– ماهذه الجلبة التي يُحدثُونها هذا اليوم؟!

سأل صديقه، الذي يُشاركه حسرةَ النظرِ إلى الطائر الذي يقف أمام النافذة الصغيرة كلَّ صباحٍ.

– سيُطلقون سراحنا. منذ الصباح وهم ينادون على الكثير مـــن الأسمـــاء ويرحّلُونها من هذا القبر.

– حقا؟!

حمل فرحة الانعتاق، وراح يتطلّع إلى النافذة العالية، حيث يقف الطائر كلَّ صباحٍ تحت قرص الشمس، ساخرًا بجناحيه من الجدران والأبواب المحكمة. لكنَّ الطائر خَذَله بغيابه هذا اليوم.

(لعلي سألتقيه تحت الشمس، وأسخر منه بأجنحتي هذه المرة!)

نهض، وراح يحرّك يديه تحت سمائه الخفيضة، حتى أوشك على ملامسة سقفها الرطب، محاولاً استعادة بعضًا من لياقته البدنية.

نظر إلى الجدران.

تذكّر أول ليلة جاءوا به، ورموه بينها. كان يشعر بأنها ستطبق عليه وتعتصره، لتستنزف منه آخر قطرةِ هواءٍ ادخرها تحت الشمس.

ثَمّة من يُردد اسمه، لينخرط ضمن الهاربين من عفن الجدران.

لأوّل مرة يشعر بالامتنان لهم، وهم يعصبون عينيه، ويرمونه في الطائرة التي أحضروه بها معلقًا بحبلٍ، حتى خيل له أنّه حيوانٌ برّي اختطفوه من الغابة، ليرموه في غابةٍ أخرى، أكثرَ وحشيةٍ وظلمةٍ.

(سأغلق عيني على هذا الكابوس، وأفتحها تحت الشمس، لا تحت ستائر الظلمة. وسأنام تحت السماء وبريق النجوم من جديد).

- أين نحن؟!

همس له صديقه الذي يجلس لصقه مع عدد من السجناء. لم يستطع أن يميز عددهم:

- معلقين بين السماء والأرض.

- ربما نحن فوق بيوتنا اللحظة؟!

- حين أعود، سأهدم بيتي.

- هل نسيت عقلك في السجن؟

- وسأهدم الجدران بيدي.

يصيح بهما صوتٌ هجينٌ، اعتادا على صياحه : shut up !

يشعر أنَّ للسماء طعمًا يُشبه طعم الجدران، وأنَّ هنالك طيورًا كثيرةً، ترفرف بأجنحتها فوق نوافذ الطائرة المغلقة.

الطائرة تهبط. هذا ما أخبره به جسدُه المتأرجح يمينًا وشمالاً، وقلبه الذي هبط فجأةً، وهو يستشعر يديه المربوطتين إلى الخلف.

رفيف أجنحة الطيور تستفز القيد في يده، حتى توشك على كسره.

- get out

يُمسك الأمريكي بكتفه، ويدفعه إلى الأمام مُقيّدًا قدميه ويديه بالسلاسل.

تلفحُه الرياحُ الباردة.

يسير، ويتعثر بالسلاسل التي تسير أمامه وخلفه.

يشعر بالانتشاء وهو يتنشّق البرد من جديد (هذا هواء جديد غير مستهلك. زمن قصير، ربما دقائق أو ثواني، وتتخلص قدمي من قيودها وصوت زحفها على الأرض).

– أين يأخذوننا؟ هل يُعقلُ أنهم هيأوا لنا حـــافلاتٍ خاصـــةٍ، لنقلنـــا إلى بيوتنا؟!

– ولماذا الحافلات؟! قدماي تشتاقان لملامسة الأرض. سنشكرهم ونخبرهم أننا لسنا بحاجةٍ إليها، فعلاقة أقدامنا بالأرض وطيدةً.

– امشِ بهدوء، لئلا يسمعون ضجيجنا ويقررون إعادتنا إلى الجحيم.

– هل الوقت ليلٌ الآن؟

– لا أظنُّ، لأنني أسمع صوت ذلك الطائر بالقرب منا.

– الطائر؟! لعله يشهد انعتاقنا، كما شهد تعفننا تحت الجدران.

تنقطع فجأةً أصوات السلاسل الزاحفة نحو الأرض.

يدخلون بابًا مُغلّقًا بالصمت، الواحد تلو الآخر. ثَمّة مَن يفكُّ السلاســل ويحرر أقدامه صعودًا نحو يديه. لا يصدقُ أنَّهم افرجوا عن أنفاسه أخــيرًا. يريد أنْ يبكي. أن يصرخ. ترتفع اليد التي شعر بإنسانيتها لأول مرةٍ، منــذ ولوجه الجحيم، لتفكَّ العصابة عن عينيه، عن بهجته المختنقة تحت جفنيه. تسقط العصابة السوداء ويُطلُّ بشاشةِ رؤاه على حلمٍ، يتكسر في الأعماق، وهو يرى صديقه يرتدي قيدًا آخرَ، بلونٍ آخرَ، مرتميًا بين جدران لا ملامحَ لها سوى الظلمة، وأجنحة طائرٍ ما فتيء يرفرف بســخريته فــوق قلبــه الزاحف على بقايا زجاج أحلامه النائئة.



شمسٌ خلف الغيوم

(جمال نوري)

تقيأته الممرات الحزينة، المسكونة بوجع الأمنيات المؤجلة وحسرات القلوب الواجفة، وهي تتوسل شعاع الفجر الدامي. هناك في زنزانة صغيرة ضيقة وُجِدَ جسده العاري ملتصقًا بالبلاط البارد، لم يتمكن للوهلة الأولى أنْ يُدرك معالم الجدران وحجم الغرفة وارتفاعها، فقد اكتسحه الألم بقسوة عجيبة، أطفأت حواسه ومجسات قلبه المتسارع في نبضاته. باتَ يُدرك الآن أنَّ خلاصه من هول هذه التجربة لم يعدْ ممكنًا. أنَّ المشاهد المروعة التي أطلَّ عليها من ثقبٍ في قلبه هشّمت شيئًا من عزيمته. هو لا يملكُ الآن غير أنْ يتماسك، أنْ يستند بجسده الواهن إلى الجدران التي لم يفهمْ يومًا حضورها ولغتها إلا في هذا المكان. حين يتفاقم اليأس، وتُصادره الخيبات، ويخالجه الضعف، يدفع بجسده نحو الجدار، ربما ليشجَّ رأسه. يمنح روحه المعذبة فرصةً للخروج من وحشة الدهاليز المعتمة. قد يعقد صلحًا حين يُلامس أديم الجدار بيدين مرتجفتين، ثم يُفرغ شحنات أوجاعه على شكلِ كلماتٍ أو قصائدَ غير موزونةٍ. ربما تمادى أكثر في اعترافاته وسجّل كل ما يخطر في باله، ليتسنى له بعد حين أنْ يستأنس بتلك الكلمات، فلم يكن يُؤمن بغيرها ملاذًا وتواصلاً واحتراقًا.

انهضَ قامته، واتكأَ إلى الجدار. مررَ أصابعه النحيفــة يــتلمّسُ تضــاريسَ غامضةً، أوهمته للوهلة الأولى بسعة المكان. بعد قليل التصــقت أصــابعه بملمس الحديد البارد، فأدرك أنَّه بابٌ ثقيلٌ، فعادة ما تُوضَعُ الأبواب هنــا بمهارة وإتقان، ويتمُّ اختيار أثقل المعادن، لتُصبح سدًا منيعًا تمنع الأجســاد المنهكة من تحطيمه. يندفع إلى أقصى الغرفة، ثم يضع كفيه أمام وجهــه، ويمضي بتؤدَة نحو الجهة الأخرى. خُيل له أنَّه في غرفةٍ واسعةٍ بعض الشيء، أنصت جيدًا لأي صوت قد يصدر من هنا أو هناك. كان الصمت والظلام يسترخيان بكسلٍ على مساحة الغرفة، و لم يكن يتناهى إلى مسامعه غــير أصداء ارتطام الأبواب، وهي تُطمأن السجان باستحالة خروج الأجســاد مرةً أخرى من محاجرها النتنة.

صدر صوتٌ أجشُّ من وجهٍ يرتدي الظلام، بينما كان الضوء يمنعه مــن الرؤية... أنت الذي فعلت ذلك؟

أنت الذي.. أنت الذي..

وفي لُجَّة الدوار، كانت الأشياء تدور، وتدور. تُغيّم، وتتشابك. يسترسل في أحلامه ويستسلم لكوابيسه. من يُمسك بيده الآن ويُنقذه مــن فصــلٍ جديدٍ من فصول الآلام؟!

كانت القبضات تندفع نحو وجهه وجسده، فيسقط على الأرض مضــرجًا بدمه وصمته. كان يحاربهم بصمته، لعله يجعلهم يتركونه في النهاية.

أيقظته زقزقة العصافير الصادرة في الفضاء المجاور، أو تلك التي تتزاحم الآن على الأغصان. أدرك بمجساته الصوتية أنَّ الأشجار لم تكنْ تبعُد كثيرًا عن زنزانته، التي بدا سقفها عاليًا جدًا، بينما كانت ثَمّة نافذةٍ صغيرةٍ تُسرّب هلالاً من الضوء، ينبجس من تحت مفرغة الهواء الصغيرة، التي استمرت في حركتها الدائبة مصدرةً صوتًا رتيبًا جارحًا.

لم تكنْ المرأة اللابدة خلف النافذة تحلُم بيوم لقائه. كانت تحاول أنْ تشاركه محنته، أو أنْ تتجلّى في أحلامه، لتمنحه شيئًا من الجلد. لقد حدث ذلك بسرعة حين انتزعوه من البيت مُكبّل اليدين، مُغطّى الرأس. كمْ من الوقت سيُزجي بين هذه الجدران الخرساء التي استنطقها بكلماته وقصائده، التي لا تعترفُ بالوزن والقافية!. كان يمنحها إيقاع أوجاعه ولون جراحه النازفة. وكمْ كان سيحتاج من القوة، ليرتفع بجسده إلى مستوى النافذة المطلّة على الضوء والسماء والعصافير!

لا شك أنَّها تبكي الآن، أو تجلس قرب النافذة أو تصلي من أجله.

- سأبقى أحبُّك إلى الأبد.

- حتى لو مِتُ ؟!

- عاشقٌ خرافي مثلُك لن يموت.

- العشاق أقصرُ الناس عمرًا. صدقهم يقتلهم.

- عمار، لا تكنْ متشائمًا.

هبط الظلام، وتناسل الخوف، واشرأبت الوحدة تغرز نضالها في جسده الضامر. ارتفعت كفه عاليًا، لتلامس نهاية الباب، ثم مد ساقيه باتجاه الجدار المقابل، آملاً أنْ يُوفّق في الصعود إلى الأعلى قليلاً. ربما سيكرر المحاولة للارتقاء إلى نافذة الحلم المزروعة في الأعالي. منعه الضوء الساطع من الرؤية، وارتكن إلى الصمت مرة أخرى، ففاجأته لكمةٌ قويةٌ على رأسه، لم يَصْحُ بعدها إلا وهو جاثمٌ بين جدران الزنزانة.

– لماذا لا نغادرُ مثل الآخرين؟

– تقصدين هرب مثلهم؟!

– الحياة هنالك أجمل.

– ولكنَّها لن تكون حياتنا في تلك الأرض الغريبة. أنا لا أستطيعُ مغادرة جذوري.

أحرز تقدماً في هذا النهار أيضًا، وأصبح جسده مطواعًا للتسلق، إنَّه بحاجةٍ إلى المزيد من الجهد، دفع بساقه الأخرى، وتمكن من الثبات في منتصف الغرفة. أصبح الآن أعلى من نهاية الباب الحديدي. حرر جسده فهوى إلى الأرض. تألم قليلاً، واستعاد تماسكه. بعد وجبة الطعام سيكون أقوى وأجلدَ.

- إنَّك تحبُّ الأيام المشمسة.

- وأشعر بالحزن حين تتلبد السماء بالغيوم.

- لكنَّ الغيوم تَعِدُ بالمطر.

- أنا أحبُّ الشمس كثيرًا، وأستطيع تخيلها وهي تُشرق خلف الغيوم.

لقد نفد صبر الرجل النابت في الظلام، وقال: سأثقب جسدك أيها الأخرق. تكلّمْ.

و لم يكن يرغب في الكلام ليس؛ لأنَّه لا يستطيعُ مجادلتهم أو المناورة معهم، لكنه كان يتجنّب فخاخ الحديث مع هؤلاء، واعتقد جازمًا أنَّ الصمت وحدَه يكفي لهزيمتهم.

ارتفع الجسد عاليًا مرتكزًا على يدين وقدمين متماسكتين، ثم اشرأبت الرقبة في سموٍ نحو مساحة الضوء المنتشية تحت سقفٍ متفسخٍ، تشبثت أصابعه بصعوبة حافة النافذة، وانتزعت بثباتٍ أجنحةً مفرغة الهواء، التي ارتطمت بأرض العلبة. إنَّه يتطلع الآن إلى صف الأشجار الباسقة وهي تتمايل تحت أشعة الشمس المشرقة.



قراءة نصيّة في تجربة مشتركة

جمال نوري / رشا فاضل

(د. فرج ياسين)

اتفق القاص جمال نوري والقاصّة رشا فاضل على كتابة نصيّن يستقيان موضوعيهما من حكاية في مستوى الخبر: (ثَمّة سجينٍ في زنزانة يُقاسي توحدًا مريراً وغربةً)، ومهما حاولت القصتان إقناعنا بوجود مُشتركٍ ما بينهما، فإنَّ ذلك لا يعني وجود تطابقٍ، عدا تلك الإشارة الواقعيّة التي تُعدُّ مرجعيّةً غير نصيّةٍ تنتمي إلى لحظة ما قبل الكتابة.

ولو أن عددًا أكبر من القاصين خاضوا تجربة كتابة مشتركة في هذا الموضوع أو غيره ؛ فإن التطابق بينهم أو بين اثنين منهم يظل في حكم المتعَذّر، لأن التجربة الانفعالية تجربةٌ خاصّةٌ، وإنها عند ترحليها إلى الكتابة تخضع إلى مقترحاتٍ ذاتيّة، منها اللغة التي يختزنها كل واحد من هؤلاء القصاصين بوصفها تشكل معجمه البنائي. ومن هنا كانت الفروق في تجربة الكتابة بين القصتين تُعدُّ مؤشرًا على انبثاق دلالات مُختلفة، وهذا ما يحصل في الأدب عادةً، بوصفه يتألف من بِنَى لفظيّةٍ افتراضيّة.

وإذا كان الخبر المُتفَق عليه يُشكّل مرجعيّة قَبَليّة لكلا القصتين فإنهما سوف تختلفان في المتن الحكائي وفي المبنى الحكائي أيضًا، أما قصّة (شمس خلف الغيوم) لجمال نوري، فإن متنها الحكائي يعرض معاناة سجينٍ في زنزانة،

ليس فيها سوى نافذة مرتفعة، وأنَّه يُحاول مرارًا الوصول إلى تلك النافذة، من أجل التمتع بمرأى الشمس التي سوف يُشعره مرآها بأنه ما زال ينتمي إلى عالم الآخرين. وأخيرًا يُفلح في الصعود ومشاهدة الشمس. في حين أنَّ المتن الحكائي في قصّة (أحلام ناتئة) لرشا فاضل، يُصدّر سجينا يُراقب طائرًا، يحطُّ عند نافذته كل صباح، وإنَّه وشريكه يُخرَجان من سجنهما، ويُنقلان في طائرةٍ، فيظنُّ أنَّه في طريقه إلى الحريّة، لكنه في اللحظة الأخيرة يكتشف أنَّه إنما نُقل إلى سجنٍ آخرَ.

ومع إن الخبر المُتفَق عليه كان صريحًا في واقعيته إلاّ أن القصتين شقّتا طريقهما، كُلاً على انفراد في اجتراح متنها الحكائي، وهذا حد التحوّل الأول، وإذا كنا نقصد بالمتن الحكائي استحضار الحكاية في تسلسلها الواقعي وتدرجها المنطقي، وكما يجب أنْ تكون قد حدثت في الواقع الافتراضي للقصّة المكتملة، فإنَّ المبنى الحكائي يقصد به تحوّل هذهِ الحكاية إلى عملٍ فني، أي يُصبح حبكة أو خطابًا سرديًا وهو ما نطلق عليه تسميّة القصّة الفنيّة.

مما يُسجّل لحساب هذين النصين، أنهما اشتغلا على رؤيةٍ سرديّةٍ متقدمّةٍ، إذ أنَّهما لم يعتمدا أسلوبًا سرديًّا يُرجّح الموضوعيّة والمباشرة، بل انتهجا أسلوب السرد الذاتي في الغالب. وتكمن أهميّة هذا الأسلوب في أنَّه مؤهلٌ للكشف عن تأزمات الشخصيّة، ولا يكتفي بشرح المعاناة من الخارج.

في قصّة (شمس خلف الغيوم) يبرز ضمير الغائب منذ جملة الاستهلال الأولى (تقيأته الممرات الحزينة)، ثم يستمر هذا الأسلوب حتى نهايّة القصة. هذا النوع من العرض الأسلوبي أكثر قدرة على الدخول في بواطن الشخصيّة لأنَّه يتخذ موقفاً يُوهم بأنه حيادي، مع أنه في الحقيقة يتحدث عن (أنا) مُتأزمةٍ ذات حضورٍ طاغٍ في النص. ونحن نستطيع الكشف عن حضور الأنا لمراقبة النص عندما يمضي في عرض دواخل البطل على نحو واضح مثل (وجد جسده العاري ملتصقًا بالبلاط البارد، و لم يتمكن أن يدرك، فقد اكتسحه الألم). هذهِ الأفعال: (وجد، يتمكن، اكتسحه) ليست من وضع الراوي الخارجي، بل من وضع السارد الذاتي الذي استعار ضمير الغائب للتعبير عمَّا كان البطل يحسّه ويعانيه.

دأب هذا الأسلوب على كشف حالة الشخصيّة، وهي تعاني وضعًا شاذًا ومدمّراً في مكانٍ مقفلٍ محدودٍ جدًا جرى التعبير عنه بعبارة (هناك في زنزانة صغيرة)، إذ وُصفت هذه الزنزانة بأنها مُظلمةٌ لاحقًا، فضلاً عن أنَّ البطل يتميّز بصفاتٍ أُخَرَ منها أنَّه كان عاريًا ومكتسحًا بالخوف والضجر.

استطاعت القصّة التعامل بحساسيّة عاليّة مع عناصرها الأُخَرَ من هذا المدخل، ولاسيما ما كان يبدو لنا في انطباعات الشخصيّة مكانًا محكم الإغلاق، ليس فيه سوى الجدران وباب حديدي ونافذة مرتفعة. ومن المعروف أنَّ المكان المحكم الإغلاق يُساعد على وضع الشخصيّة أمام عزلة

نفسيّة تجعلها تُعوّض أثرها بالتأمل والاستذكار والمراجعة ؛ لذلك طغــت الرؤية المونولوجيّة، وسادت مفاصل القصّة كلها، إذ أنَّ ثَمّة نوعين مــن الاسترجاع، الأول: حواري يستعيد تجربة السجين مع امرأةٍ لا يكشفُ لنا النص هويتها (زوجة، حبيبة) وهو أمر ينسجم مع وضعه في السجن لأنَّــه يُشكّل فرصةً للمراجعة والنقد. أمّا النوع الثاني فهو: تســجيلي يتــذكر السجين عَبرَه مقاطع مما ارتكبه السجانون أو قالوه، ويتخذ صفة القطــع والالتزام ؛ لأنَّ الرجل لا يستطيع محاورة سجّانيه؛ وإنما يخضع لهم مرغمًا، على الرغم من أنه يُدير معهم حوارًا جريئًا في أحد التشــكلات. لــذلك جاءت المقاطع الحواريّة مع المرأة مُنفتحة على الحيــاة والأمــل، زاخــرةً بالأسئلة والمراجعة. ومع أن دور المرأة لا يَردُ إلا في سياق الحوار، إلا أنَّــه مهم جدًا، ولا سيما حين ينحاز البطل إلى روح ذلك الحوار، وهو يحاول مجهدًا من أجل رؤية الشمس من النافذة.

صحيح أنَّ هذهِ القصّة تنطوي على قصد قبلي ؛ يؤكد عنصر الشخصــيّة، لكنّها تُعدُّ قصة مكان بإمتياز، وتكفي العودة إلى النص لاكتشاف التغطيّة المكانيّة التي أجراها (الراوي الغائب)، ونجح في بسطها.

أما الزمان، فبما أننا عَرجّنا على استذكارات البطل وتشوّفاته أي ما يخص الزمن السردي، فإنني أود التأكيد على الزمن التاريخي والزمن التقويمي، أما الزمن التاريخي، فهو يتدرج في إشكاليّة لا تاريخيّة القص، لأنَّ القصّــة لم

تقل لنا متى حصل هذا أي ما هو زمن القصّة الخارجي (التـــاريخي) في أي عام أو حقيقة أو مرحلة؟ لكن الزمن التقويمي يعد جزءًا من زمن الســـرد، وهو يرد في القصّة ثلاث مرات :

١. (أيقظته زقزقة العصافير) : كشفت لنا أن الوقت كان فجرًا.

٢. (هبط الظلام) : كشفت لنا أننا بداية في الليل.

٣. (أحرز تقدمًا في هذا النهار) : كشفت لنا أننا في النهار وليس في الليل.

وأحسب أن هذا الاقتصاد في الإشارات الزمنيّة جاء على حســـاب إبـــراز دور الشخصيّة في السجن، ولنا أن نتخيل كيف أنَّ الإشارات المكانيّـــة، كانت طاغية جدًا مقارنةً بالإشارات الزمانيّة، ثم نجري كل ذلك لحساب تأويل النص الذي لم نكن لندرك قوته وتأثيره العميقين مـــن دون هـــذه الإحالات الدلاليّة.

ويتحرر المتن الحكائي في قصّة رشا فاضل (أحلام ناتئـــة) مـــن ربقـــة التحديدات المتفق عليها، فينطلق في بناء علاقات جديدة، تتيح له الخـــروج من الزنزانة والمعاناة المرتبطة بالمكان المفروض، وتستحضر عناصر أُخَرَ مثل الشريك في حجرة السجن، والطائر، والسجانين الـــذين نتعـــرف علـــى هوياتهم من خلال إشارات اللغة التي هي الإنكليزيّة، فضلاً عن تنويعـــات أُخَرَ منها الانتقال بوساطة الطائرة، وتدشين سجن آخر. ويبدو أن ذلـــك

قد أمَّن إطلاق فعل الحكي، وتوسيع مديات الحركة الخارجيّة، و لم يقصر السرد على التجسيد من خلال استرجاعات البطل وانفعالاته في مكانٍ مُغلقٍ، لذلك نرى وجهة النظر قد اتسمت بالتنوع المناسب لاتساع رُقْعة السرد، فثمّة راوٍ موضوعي/ خارجي كلّي العلم. وثمة راوٍ يتماهى مع البطل، وآخر يتفرّد بالرؤية (أنا المتكلّم) في مستوى السرد الذاتي.

يشكّل استهلال القصّة خرقًا دلاليًا لافتًا، إذ أنها تبدأ بمقطع حواري مُتخيّل، يجري على لسان طائرٍ كان يقف أمام النافذة في حجرة السجن كلَّ صباحٍ، وسوف يستغرق صوت الطائر ضمير البطل المأزوم، فيذكّره بخيبته وتعذر نجاحه: (كنتَ تظنُّ أنَّ مكانك في السماء لا على الأرض، وأنّك طائرٌ يطير بلا أجنحة).

هذا الصوت جاء عبر مناجاةٍ داخليّةٍ حصلت في منتصف الليل، وليس في الصباح؛ الوقت الذي اعتاد الطائر على الظهور فيه؛ فهو إذًا صوتٌ داخلي يخصُّ هواجس البطل. لكنْ للطائر مستوى آخر يتمثل في حلوله عند مكان مرتفع هو النافذة، وفي كل صباحٍ أي في وقت التفتح والشروق والتفاؤل، لكي يرمز إلى خلاصٍ ما. ولا أرى في ذلك تناقضًا، لأنَّ الصوت الداخلي الذي يمثله الطائر في المستوى الأول ليس صوتًا مُثبِّطًا، فاللوم والتقريع يشكلان مُحفّزين لإعادة النظر والبدء من جديد. وكما أن الطائر كان يبرمج الرؤية التفاؤليّة للسجينين بوصفه رمزًا للتحرر، فإنه كان يتلاعب

بمشاعره حين يُمارس معه لعبة الظهور والاختفاء إذ يظهر في الحـــوار، وفي السرد الموضوعي، وفي السرد الذاتي على حدٍ سواء مثل :

- (سأل صديقه الذي يشاركه حسرة النظر إلى الطائر...)
- (حمل فرحة الاتفاق، وراح يتطلع إلى النافذة حيث يقف الطائر...)
- (لعلي سألتقيه تحت الشمس وأسخر منه بأجنحتي)

على هذا النحو كان الطائر يُنظّم الحدث القصصي، ويتغلغـــل في أغـــوار الرؤية القصصيّة بوصفه إيقاعًا سرديًا يظهر ويختفي مرّة في أحلام السجين ومرة أخرى في الواقع التاريخي لسلسلة الحدث. وقد استطاعت أســـاليب السرد استغراق هذهِ الوقفة الدراميّة وتفعيلها.

وبما أن قصّة (شمس.. خلف الغيوم) كانت قصة مكان بامتياز، فإنّ قصّة (أحلام نائئة) اشتغلت على الحدث القصصي، وجدّت في إبراز تحوّلات الشخصيّة ضمن أُطر الأفعال، وهي تتغيّر مُتأثرة بتوترات السرد من حجرة السجن إلى الطائرة، ثم إلى حجرة سجن آخر.

إن أهمَّ ما في هذهِ القصّة هو رمزيّة الطائر لدوره الواقعي، ولدوره التخيلي الرمزي أيضًا، كما ورد في المفاصل التي منحته وظيفة السرد: (الطـــائر؟ لعله يشهد انعتاقنا كما شهد تعفننا تحت الجدران).

وإذا كانت رمزيّة الطائر قد مثلّت شأنًا يتصل ببناء القصّة الداخلي، فـــإن هناك رمزيّة أخرى يتم استيعابها بعد الفراغ من القراءة وهي رمزيّة تَتجلّى في المستوى الكنائي الذي اشتغلت عليه؛ لأنَّ القصّة كلها أرادت أنْ تُظهر دلالة أخرى مفادها أن مظاهر الاضطهاد والظلم والاحتلال غدت قـــدرًا مستمراً، ما إن يظنّ المرء بأنّه على شفا الخلاص منه، إلا ويجد أنّه قد أمعن في تكبيله.

لقد استطاعت هذه القصّة بناء خطّها السردي عبر عدد من المرتكـــزات، مثل التنوع في أساليب السرد، والحوار، والرمز، فضلاً عـــن المفارقـــة؛ إذ يظهر ذلك حين يُكْسَرُ التوّقع الذي مَهدّت له القصّة، بعد إخراج الرجلين من السجن ونقلهما في طائرةٍ، فيظنُّ البطل أنهما سوف يُطلق ســـراحهما، لكنَّ القصّة تباغتنا برسم حالة غير متوقعة، وهي عودة الرجلين إلى سجنٍ آخر.

إن تأكيدنا على قراءة القصتين بآليات مُكوّنين سرديين مُخـــتلفين؛ همـــا: شعريّة المكان في قصّة (شمس خلف الغيوم)، والحدث القصصـــي مـــن خلال رمزيّة الطائر في قصّة (أحلام ناتئة)، لا تعد قراءة نهائية وإنما هـــي قراءة متخيّرة، لأنَّ النصيّن — لاكتنازهما وعمقهما — قادران على تحمـــل قراءات جديدة بآليات مختلفة.



المؤلفة في سطور

- أديبة وإعلامية عراقية من مواليد عام ١٩٧٥م.
- بكالوريوس في اللغة الإنكليزية من جامعة تكريت، سنة ١٩٩٧م.
- حاصلة على ثلاث شهادات دولية من جمعية الهلال والصليب الأحمر الدولي.
- عضو في عدد من الاتحادات والهيئات، منها :

ـ الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين

ـ الهيئة التأسيسية لنادي القلم الدولي

ـ دار نعمان للثقافة

- العمــل :

ـ معدّة ومقدمة برامج في فضائية صلاح الدين

ـ محررة صفحة ثقافية في عدد من الصحف المحلية

ـ مدربة في الهلال الأحمر على الإسعافات الأولية، ومدربة على الوقاية من الـ(HIV) مرض الإيدز، وعملت كناشرة للوعي الصحي في المدارس والقرى

ـ مسؤولة في البحث والتحري عن الأسرى والمعتقلين في السجون الأمريكية

ـ مدرسة للغة الإنكليزية.

- المشاركات الأدبية :

ـ ملتقى القصة القصيرة جدًا في حلب، عام ٢٠٠٥

ـ المؤتمر التأسيسي لنادي القلم الدولي في دمشق، عام ٢٠٠٧

ـ تأسيس المؤتمر الأعلى للثقافة في عمان، بتاريخ ١٤/٥/ ٢٠٠٧

- الـجوائـز الأدبية :

ـ جائزة ناجي نعمان الادبية العالمية (لبنان) في دورتها الخامسة ٢٠٠٧م في مجال القصة القصيرة ، عن المجموعة القصية (فيروس سردي).

ـ الجائزة الأولى في المسابقة الأدبية في الموسم الثقافي في جامعة تكريت ٢٠٠٤م في مجال السرد (القصة القصيرة).

ـ جائزة تقديرية في مسابقة الزمان للقصة القصيرة، عام ٢٠٠٥.

ـ جائزة من إذاعة صوت البلاد/ العراق ، (نصوص نثرية).

- الإصـدارات :

ـ مجموعة شعرية تحت الطبع

ـ مجموعة مسرحية قيد الإنجاز

- البريد الإلكتروني : rasha200020@yahoo.com



شمس للنشر والإعلام

رؤية جديدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تم تأسيس "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، ومابين تحقيق رسالتها الثقافية.

وتهدف "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" إلى تحقيق عدد من الغايات، تتمثل في:

- إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ، وتلبية حاجاته من المعرفة.
- تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية، والعمل على نشرها وإبرازها.
- الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.
- الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات العربية المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها بالتعاون مع دور نشر احترافية في العديد من الدول.
- حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتّاب، وإعادة صياغة أسس التعامل المادي مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافاً.

- إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها والمشاركة الفاعلة فيها.

- التعريف بالكاتب والكتاب إعلامياً وجماهيرياً، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.

- توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكتاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع المهتمين على اختلاف توجهاتهم، وفق صيغ تعاون إيجابية.

- إعادة نشر التراث المعرفي العربي ذي الإفادة في عصرنا، وتحقيقه وتدقيقه.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له؛ في النهاية؛ مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

إننا في "شمس للنشر والإعلام" إذ نسعى لتجاوز العديد من السلبيات في مجال النشر، فإننا لا نزعم قدرتنا على إحداث طفرة أو ثورة في معايير النشر السائدة، بل نسعى إلى التكامل مع جميع المهتمين والمهمومين بأحوال النشر في عالمنا العربي، ونمد أيادي التعاون لكل صاحب حلم أو تجربة راقية في هذا المجال، إيماناً منا بأن العلاقة التي تربطنا بالمهتمين والعاملين في مجال النشر هي علاقة تكاملية لا تنافسية، وأن التعاون للرقي بالكاتب والكتاب، سيعود بالنفع على الجميع، بدءاً من المؤلف إلى المتلقي إلى الناشر.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004 - (+2) 0188890065/64

فهرس



(+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤ (+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥
www.shams-group.net